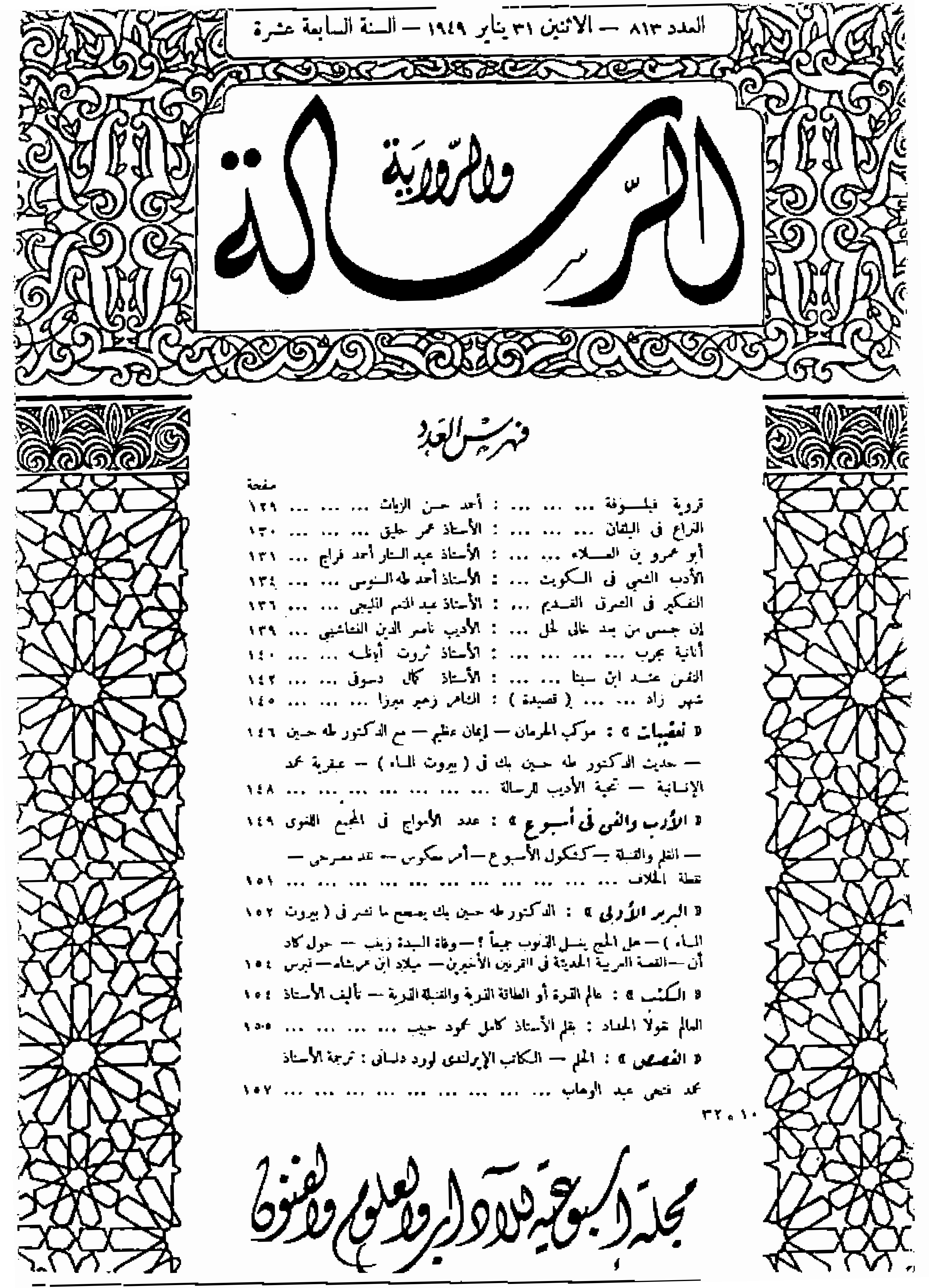


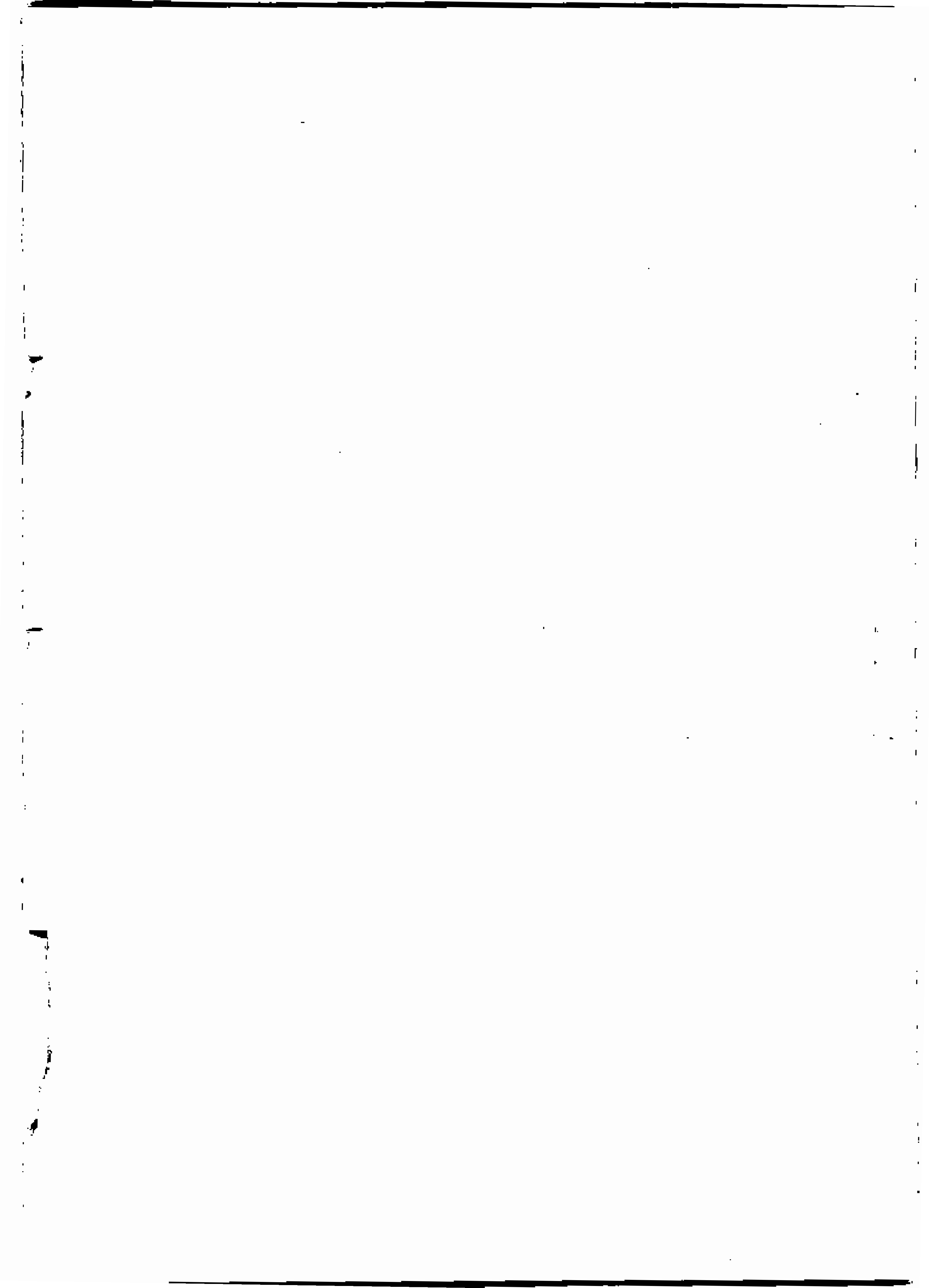
العدد ٨١٣ — الاثنين ٣١ يناير ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٢ ، ١٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



17 me Année No. 813

Lundi — 31 — 1 — 1949

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨١٣ « القاهرة في يوم الاثنين أول ربيع الآخر سنة ١٣٦٨ — ٣١ يناير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

قروية فيلســــوفة

لا يا صديقي ! لا أريد أن تَبيضّ صحيفتي ! كان الشاق لا يطيقون الرقيب وله عين ، فكيف يطيقونه اليوم وله عين ولسان ، وقلم وسلطان ؟ دعنا من حديث شرق الأردن والعراق والجامعة ، وتعال أحدثك حديثاً رفيقاً رقيقاً ، إن خلا من الفائدة فلا يخلو من اللذة ، وإن بعد عما يشغل الناس فلا يبعد عما يشغل النفس :

أم عامر قروية شيخة ، تعد الستين في سرها ، ولكنها كسائر النساء لا تجاوز الثلاثين في جهرها . وهي في سبيل التدليل على استحارة شبابها وأكتمال قواها تتحامل على نفسها ، فتحلب الجاموسة ، وتملأ الزير ، وتخبز الفطير ، وتكنس الدار ، وتكسح الزريبة ، وتعلف الماشية ، وتطهو الطبيخ ، وتحمل في عنقها مفاتح الحبوب والنقود والمخزن والكرار ، فلا يستطيع أحد من أولادها وأحفادها أن يصل إلى شيء من أولئك إلا عن يدها . فإذا أشفقت عليها كنّتاها ورغبتا في أن تعيناها على شأن من شؤون المنزل ، قالت لها في كبرياء وأنفة : أنا لا أزال صبية مثالكما ! عليكما الغيط ، وعليّ البيت ! والحق أن السيدة أم عامر قروية ذكية : تمرست بالشدائد فازدادت مِرّة ، وتصرفت في الأمور فاكتسبت خبرة ، واضطربت في المعاش على هوى الزمن القلّب فتملت بالتجربة ، وتلقنت بالسليقة ؛ فكلامها حِكَم ، وحديثها أمثال ، ورأيها حجة . ومن أجل ذلك تميزت شخصيتها في المجتمع الريفي فأصبحت كالعرّافة في العهد القديم ، تستخيرها كل امرأة ، وتستشيرها كل أسرة . وهي إلى ذلك طويلة الأنف تدسه في كل منزل ، مُرْهَفة الأذن ترهفها إلى كل مجلس ؛ فلا يقع في العزبة حادث أو حديث إلا كان عندها علمه ومن لدنها ذيوعه .

رأيتها صباح يوم من أيام ديسمبر جالسة في الجرن تنزع الأغلفة عن أعطار الذرة المندّاة ، وحفيدها الصغير نائم على كتفها ، وكلبها الأبقع رابض بقربها ، وحمائم البرج القريب ينتهزن غفلتها النادرة فيقمن من وراء ظهرها على جانب القرش يلتقطن الحب من قوالحه . وكان الفلاحون ونساؤهم قد خرجوا إلى الحقول ، صغارهم ليسيموا الأنعام في البرسيم الغض ، وكبارهم ليطهروا المصارف من الغرين الراسب ، فلم يبق في الضيعة إلا عجوز تستدفئ بالشمس ، أو طفلة تلعب في الطين ، أو دجاجة تبحث في الأرض . فأغراني هدوء المكان ، ودفء الجو ، وما سمته عن حال العجوز ، على أن أذهب إليها . فحييتها ، ثم جلست إزاءها على أعواد الذرة اليابسة وسألتها : كيف حالك يا أم عامر ؟ فأجابت العجوز بلهجة تنم على الرضا والغبطة : حالي خير حال والحمد لله ! العيش مخبوز ، والماء في الكوز ، فماذا أبغي فوق ذلك ؟ فقلت لها : وهل يقنع ابن آدم ؟ تبغين الأرض المملوكة ، والدار المشيدة ، والثوب الحرير ، والمركب الفاره ، والالحم في كل وجبة ! فقالت وهي تضحك : هبني ياسيدي أصبحت (بدراوية) ، عندي

(البقية على صفحة ١٠٥)

احمد حسن الزيات

النزاع في البلقـــان

للأستـــاذ عمر حليق

من بين القرارات الرئيسية التي اتخذتها الجمعية العمومية في اجتماعها الأخير بباريس مشروع جديد لإعادة السلم في البلقان ، والسعي لتصفية الحرب الأهلية في اليونان .

وقرار هيئة الأمم هذا يطلب إلى جارات اليونان الثلاث : ألبانيا وبلغاريا ويوغسلافيا ، الامتناع عن تزويد الثوار اليونانيين بالأسلحة والمساعدة المادية والمعنوية ، ويوصي اللجنة الدولية التي أنشأتها هيئة الأمم لفض النزاع في البلقان بمتابعة أعمالها .

وقد خولها هذا القرار صلاحيات جديدة من شأنها إذا نفذت أن تضع نهاية مرضية لهذا الصراع المؤسف الزمن الذي ابتدأ بين اليونان وجاراتها منذ أن وضعت الحرب العالمية الأخيرة أوزارها .

وهذا المشروع الذي نحن بصدده ، هو من وضع الصين وبريطانيا وفرنسا وأمريكا مشتركين . وقد نال أصوات جميع أعضاء هيئة الأمم باستثناء روسيا وحلفائها في دول أوربا الشرقية

وكان رأي الروس لحل مشكلة البلقان يرمي إلى وقف أعمال لجنة البلقان الدولية التي ألفها مجلس الأمن في السنة الماضية ، وسحب الجنود الأجانب من جميع الجنسيات من اليونان ، ثم حمل الدول المتنازعة على الدخول في مفاوضات لإيجاد تصفية نهائية .

وطبيعي أن هدف الروس في هذه الدعوة هو إقصاء الجنود الأمريكيين والبعثات العسكرية الإنجلوسكسونية التي تدير الجيش النظامي اليوناني ، وترك الحالة مرهونة بالقوة الكامنة لدى الثوار اليساريين اليونان والتي تزعم حكومة موسكو في شكل لا يتخذ صورة المساعدة العلنية التي يقوم بها الأمريكان في اليونان وتركيا ، والتي تتخذ شكل السيطرة السياسية والاقتصادية التامة ، خصوصاً في اليونان . وقد كتب هانسون بولدوين المعلق العسكري لجريدة النيويورك تايمس الأمريكية منذ مدة يقول إن انتصار روسيا في حرب البلقان يكشف عن وسيلة الصراع التي تدفع فيه روسيا الولايات المتحدة إلى حرب اقتصادية تستنفد القوى الاقتصادية الأمريكية وتفسد العلاقات والتيارات الاقتصادية والتجارية في عالم ما بعد الحرب . وقد عد هذا الكاتب مناورات روسيا في اليونان انتصاراً لأن مضى عام على احتلال الأمريكان مكان الإنجليز في اليونان ، وإنفاقهم ٢٥٠ مليون دولار بموجب شريعة ترومان خلال السنة المنصرمة ، قد أنتج عكس ما كان يقدر له صناع السياسة في أمريكا . فقد زاد عدد الثوار اليونان من ١٠ آلاف إلى ٢٥ ألفاً ، وتراكمت على الإدارة الأمريكية التي تتولى تنفيذ شريعة ترومان في اليونان أعباء مالية جسيمة اضطرتها إلى أن تطالب من الكنغرس تخصيص ضعف هذا المبلغ (٥٠٠ مليون دولار) للسنة الحالية . أضف إلى ذلك أن اليساريين اليونان قد تمكنوا من التركز في مواقع استراتيجية جديدة تتوغل في الأراضي التي كانت تسيطر عليها الحكومة اليونانية في السنة الماضية .

ولنعد إلى محاورات هيئة الأمم :

لقد رفض المشروع الروسي بأكثرية ساحقة ، وكانت حدة النقاش بين الروس وحلفاء الغرب بصدد المشكلة البلقانية في جلسات هيئة الأمم من أعنف ما شهدته هذه المؤسسة من نقاش . فقد حمل المسيو فيشينسكي وهو قانوني ضليع وخطيب مصقع على لجنة البلقان الدولية وطالب بحلها معدداً الأخطاء والتحيز الذي بدا منها بفضل ما سماه « بهزلة التدخل » الأمريكي في أعمالها وتوصياتها وفي سعيها لتوطيد الملكية اليونانية أمام مقاومة ما سماه فيشينسكي العناصر التقدمية الشعبية .

ولعل من الطريف مقارنة فيشينسكي في تعداده أخطاء لجنة البلقان بدفاع زميله ومواطنه يعقوب مالك المندوب الروسي الدائم في مجلس الأمن عندما تناوب المندوبون العرب بالخطب وبالمذكرات على الكشف عن تآمر وأخطاء لجنة التقسيم الدولية بفلسطين ولجنة مراقبة الهدنة ...

وحاول المندوب الروسي أن ينفي التهم عن حلفائه البلغاريين والألبانيين واليوغسلافيين فقال إن أزمة النزاع في اليونان ليس مبعثها تدخل جارات اليونان ، ولكن مبعثها فساد النظام والإدارة السياسية في حكومة أثينا ، وأن أية محاولة لتعزز هذه الحكومة لن يضمن استقرار السلم في البلقان وهي منطقة في مسيس الحاجة إلى الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي ، وهو إصلاح لا يتم إلا بتوطيد السلم الحقيقي . أما أجوبة اليونان عن ادعاءات الروس فإنها تشير إلى أن اليونان فريسة عدوان منظم من جاراتها الشيوعية ، وهذا العدوان يتخذ شكل اعتداء حربي مسلح يشترك فيه الجنود البلغاريون والألبانيون واليوغسلافيون مع الثوار اليونان برعاية حكومة موسكو ومساعدتها المادية والمعنوية . ولذلك فإن مأساة الصراع في اليونان ستنتهي حتماً إذا امتنعت روسيا وأعوانها

من تغذية الثوار اليونانيين . ويقول ممثلو حكومة اليونان في هيئة الأمم إن الشعب اليوناني في منطقة الحكومة وفي منطقة الثورة على السواء يرغب في السلم ، ولن يتم له تحقيق هذه الرغبة إلا بوقف تدخل الدول المجاورة .

ويعزز رأى اليونان أصوات سادة هيئة الأمم المتحدة وهم الإنجلوسكسون ، وقد استطاعوا إقناع أعضاء الهيئة بتخويل اللجنة الدولية في البلقان صلاحيات جديدة يعززها من الخلف نفوذ لايك سكس عسى أن يستقر السلام في تلك المنطقة التي هي برميل البارود في حروب أوربا الشرقية .

ويقول تقرير نشر في لايك سكس مؤخراً إن اللجنة الدولية المذكورة معززة بقرار الجمعية العمومية قد نجحت مبدئياً في تقريب وجهات النظر بين الحكومة اليونانية وجاراتها على أسس جديدة قد تسفر — إذا استمر هذا الجو الهادئ نسبياً الآن في البلقان — عن خطوات عملية جدية لتصفية نهائية ...

(نيويورك) عمر حليم

أبو عمرو بن العــــلاء

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

(لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء
كان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء)
يونس بن حبيب

الفرصة :

ما بال هذا الشيخ العلاء بن عمار وابنه الفتى أبي عمرو يضربان في إحدى صحارى اليمن مصعدين إليها ؟

أما أكبرهما فيجلله الشيب ويغشيه الوقار وتنبيء طلعته عن عراقة النسب وكرم النجار وإن كانت تبدو عليه رهبة الخائف وخشية المطلوب .

لكن الفتى أبا عمرو — وقد خنق بضعاً وعشرين سنة — تتبين في تقاسيم وجهه مخايل النجابة ولمحات الذكاء ، ويطالعك بالبصيرة النفاذة والفكر اللماح ، وتتوسم فيه لهفة المتعطش إلى انتهال المعارف وارتشاف العلوم .

وبينا الصمت باسط أجنحته على هذا الفضـــاء المترامي إلا ما تسمعه من همس أخفاف الإبل وهي تلامس صفحة الرمال المنبسطة ، انطلق صوت أعرابي يحدو السير وهو ينشد :

لا تضيقن بالأمور فقد تفـــرج غماؤها بغير احتيال
ربما تكره النفوس من الأمـــر له فرجة كحل العقـــال

فأقبل الشيخ وهو يغالب لهفة تملك عليه نفسه يسأله عما وراءه فكان جوابه : مات الحجاج .

لك الحمد يا ربي ! نطقت بها أسارير العلاء قبل أن يترطب بها لسانه بين فكيه ، وأخذت وسامة الارتياح تجلو عن صفحته جهامة الإنزعاج ؛ وأدار وجه راحلته ليصرفها إلى البصرة بعد أن تقبل التهنئة من فتاه بسلامته من طلب الحجاج مما جعله يركب أهوال الصحراء في طلب النجاة وقد ضم إليه ابنه خشية أن تمتد إليه يد الإيذاء . أما أبو عمرو فهو — كما يحدث عن نفسه — كان أكثر فرحاً بالإنشاد من سماعه بنبأ الوفاة . أليس ذلك الأعرابي يقول : « له فرجة كحل العقال » بفتح الفاء من الفرجة لما كان مخرجاً من الهم المنوى وهو يحفظها من قبل بالضم لما كان بين الشيئين الحسيين ؟

نسب أبي عمرو :

اشتهر بكنيته أبي عمرو واسمه الحقيق زبان بن العلاء بن عمار ابن العريان بن عبد الله بن الحصين ، وينتهي إلى مازن من تميم ، كان من أشراف العرب ووجهائها مدحه الفرزدق بقوله :

ما زلت أفتح أبواباً وأغلقها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

وغضب مرة فهجاه ثم جاء إليه معتذراً فقال أبو عمرو :

هجوت زبان ثم جئت معتذراً من هجو زبان لم تهجو ولم تدع

ويكفي في مكانته من قبيلته أن أباه كان من الرجال الذين اتجهت إليهم أنظار الحجاج فطلبه للقضاء عليه .

نشأته وشيوخه :

ولد بمكة في أواخر العقد السابع من القرن الأول الهجري ، وبها وبالمدينة كان تلقيه لكتاب الله حيث كان يسارع إلى حفظه كل فتى من أهل الحرمين وغيرهما من الأمصار إذ ذاك . وكان علماؤها يتلقون روايات القرآن المختلفة عن رسول الله ويختارون منها ما وافق شروطهم في الاختيار ؛ وكانت رواية هذا أو بعضه تعد — بجانب رواية الحديث — أعظم ما يهتم به المتعلمون وأكرم ما يسعى إليه الراغبون . ولكن أبا عمرو لم يدع أحداً من نابهي القراء إلا تلقى عنه القراءة وعرضها عليه . وأقدم من أخذ عنه من أهل مكة مجاهد بن جبر المتوفى سنة ١٠٣ هـ وعطاء ابن أبي رباح المتوفى سنة ١١٤ ، وعكرمة بن خالد المخزومي المتوفى

سنة ١١٥، وعبدالله بن كثير أحد القراء السبعة المتوفى سنة ١٢٠، ومحمد بن محيصن أحد القراء الأربعة عشر المتوفى سنة ١٢٣، وحميد بن قيس الأعرج المتوفى سنة ١٣٠

وأخذ من شيوخ المدينة عن يزيد بن رومان المتوفى سنة ١٢٠ وأبي جعفر يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة المتوفى سنة ١٣٠ وشيبة بن نصاح المتوفى سنة ١٣٠، وقد تلق عن هؤلاء الثلاثة أيضاً نافع أحد القراء السبعة. ورحل إلى البصرة والكوفة فأخذ من شيوخ البصرة عن نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر اللذين توفيا سنة ٩٠ القرآن والنحو؛ وأخذ من الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠ أحد القراء الأربعة عشر القرآن، وعن عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ القرآن والنحو، وتلق بالكوفة القرآن عن سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٥ وعاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة المتوفى سنة ١٢٧ فأبو عمرو وهو أحد السبعة المشهورين إلى عهدنا هذا مع بقية العشرة إلى الأربعة عشر، أخذ عن كل من سبقه في السن وشارك من قاربه إلا ابن عامر بدمشق فإنه لم يأخذ عنه ولم يشاركه. ولعل أبا عمرو لم يكن - كما يبدو من طلب الحجاج لأبيه - من المقربين إلى خلفاء بني أمية، فلم يحاول أن يقدم عاصمتهم ويأخذ عن قارئها عبد الله بن عامر، وبخاصة إذا علمنا أنه زار دمشق في دولة العباسيين. ثم استقر به المقام في البصرة إلا ما ندر حيث تهيأت له إمامة القراءات والأدب بعد أن طوف بالأمصار وخاض البوادي

علمه:

ليس بالكثير على رجل كأبي عمرو، وقد أخذ عن أعلام الإسلام وأجلة العلماء أن تكون له مكانته في العلم ملحوظة، فيقول فيه تلميذه أبو عبيدة: كان أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر. وأن يقول تلميذه الأصمعي: سألت أبا عمرو عن ألف مسألة فأجابني فيها بألف حجة. وأن يمتن أبو عمرو بما وفقه الله إليه فيقول: لقد حفظت في علم القرآن ما لو كتب ما قدر الأعمش على حمله. ويقول ما رأيت أحداً قبلي أعلم مني. ويزيد الأصمعي على ذلك: ولم أر بعد أبي عمرو أعلم منه. وفيه يقول تلميذه يونس بن حبيب: «لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء كان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء»

وهو إلى جانب شيوخه الذين فاق بعددهم كل من عاصره كانت دفاتره ملء بيته إلى السقف.

أدبه:

روى أبو عمرو الشيباني: ما سألت أبا عمرو بن العلاء عن حاد إلا قدمه على نفسه، ولا سألت حاداً عن أبي عمرو إلا قدمه على نفسه. وإن كتب الأدب واللغة لتروي شروح أبي عمرو للشعر وروايته له وذوقه الأدبي في تخير أجودها، فأبو الفرج في أغانيه يقول: كان أبو عمرو يرى أن بشار بن برد أبدع الناس بيتاً حيث يقول:

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ... ونفى عني الكرى طيف ألم

وأنه أمدح الناس بقوله:

لست بكفي كفه ابتغى الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يعدي

وأنه يقول: أحسن شعر قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة:

تقول ألا تبكي أخاك وقد أرى ... مكان البكا لكن بنيت على الصبر

وأنه لم تقل العرب بيتاً قط أصدق من بيت الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

وكان يقول: أبو النجم أبلغ في النعت من العجاج:

وكانت له موازنات بين الشعراء، فهو يشبه جريراً بالأعشى، والفرزدق بزهير، والأخطل بالنابغة. وكانت له تشبيهات جميلة؛ من ذلك قوله: عليكم بشعر الأعشى فإني شبهته بالبازي يصيد ما بين العندليب إلى الكركي. وكان يقول: إنما شعر ذي الرمة نقط عروس تضمحل عما قليل، أو أبعار ظباء لها شم في أول شمها ثم تعود إلى أرواح الأبعار. وعرض عليه قول عدي بن الرقاع:

لولا الحياء وأن رأسي قد عثا ... فيه المشيب لزرت أم القاسم
وكأنها وسط النساء أعارها ... عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت ... في عينه سنة وليس بنائم

فقال: أحسن والله، وكان عنده شيخ مدني جالس فقال والله لو سمعت لحن معبد في هذا الشعر لكان طربك أشد واستحسانك أكثر. وكان أبو عمرو لكثرة تنقله واتصاله بأهل البادية يعرف فصحاء القبائل فيقول: «أفصح الناس أهل السروات» ولقد بلغ من قدرته أن وضع - كما اعترف - بيتاً من الشعر دسه في شعر الأعشى وهو:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا

فلم يلبس منه إلا بشاور.

إقبال الناس عليه وتلاميذه:

إن رجلاً بلغ من العلم والأدب والمكانة ما بلغه أبو عمرو يكون قبلة الناس في مجتمعاته؛ فلقد روي أن الحسن مر بأبي عمرو وحلقته متوافرة والناس عكوف فقال من هذا؟ فقالوا أبو عمرو. فقال لا إله إلا الله! كادت العلماء أن تكون أرباباً، كل عز لم

يؤكد بعلم فإلى ذلك يؤول » .

ولقد نبغ من تلاميذه من أصبحوا حجة في الأدب واللغة والنحو والقراءات ؛ فأبو عبيدة والأصمعي وأبو زيد الأنصاري والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب ويحيى بن المبارك اليزيدي ومعاذ بن مسلم وسيبويه كلهم غرس يده وفيض بحره وثمرة علمه فكل فضل ينسب إليهم يشاركهم فيه ، وكل علم إنما هو الذي فتح لهم أبوابه وأنار لهم سبله .

زهده :

إن هذه النفس الصافية التي انقطعت للعلم ونشره قد لجأت إلى بارئها وأخلصت له راجية أن يشملها بعفوه شاكرة له توفيقه وجزيل نعمه ، فما كان يدخل شهر رمضان حتى ينقطع عن إنشاد الشعر ويختم القرآن كل ثلاث ليال مرة . وكان نقش خاتمه :

وإن امرأ دنياه أكبر همه   لمستمسك منها بحبل غرور

ولما بلغ به النسك مداه أحرق جميع دفاتره التي كانت ملء بيته إلى السقف لينقطع إلى قراءة القرآن .

أصول قراءته وأثر شيوخه وقبيلته فيها :

كان لشيوخ أبي عمرو في القراءة أثر ولقبيلته أثر .

١ — فتسهيل الهمز عادة لغوية للحجازيين تخالف قبيلة أبي عمرو، لكنه تأثر بشيوخه فكثيراً مايشارك نافعاً وابن كثير وأبا جعفر وابن محيصن وهم قراء مكة والمدينة الذين أخذ عنهم أو شاركهم فيمن نقلوا عنه .

٢ — والإمالة عادة لغوية لقبيلته تميم ومن شاركها من سكان نجد؛ لهذا كانت الإمالة من أصول قراءة أبي عمرو إلا أن إمالته لم تكن كبرى ، بل هي بين الصغرى والكبرى؛ فليس كقراء الكوفة ولا كقراء الحجاز ، بل بين المذهبين . وغالباً مايشاركه في الإمالة الأزرق من رواية ورش عن نافع إلا أن إمالة الأزرق صغرى ، وقد يزيد أنه يميل ما لا يميله أبو عمرو ، وقد تكفلت كتب القراءات بشروط كل منهم فيما يمال .

٣ — تسكين الوسط المتحرك من تخفيف قبيلة أبي عمرو، ولهذا كان التخفيف مما يسلكه في قراءته وقد يشاركه فيه غيره ومع هذا قد يتفق مع نافع وابن كثير وأبي جعفر وابن محيصن في فتح ياء المتكلم إذا وقعت بعدها همزة قطع مفتوحة مثل أني أعلم ، ويتفق مع نافع وأبي جعفر في فتحها إذا وقعت بعدها همزة قطع مكسورة مثل من أنصاري إلى الله .

٤ — الإدغام : يظهر أن الإدغام من عادة قبيلة تميم اللغوية . وللادغام في القراءات أسباب وشروط وموانع فإذا وجد الشرط والسبب وارتفع المانع جاز الإدغام . وأسبابه :

١ — تماثل الحرفين بأن يتحدا مخرجاً وصفة كالباء في الباء

٢ — التجانس : بأن يتفق الحرفان مخرجاً ويختلفا صفة كالدال في التاء .

٣ — التقارب : بأن يتقاربا مخرجاً أو يتقاربا صفة أو يتقاربا مخرجاً وصفة . وقد اختص أبو عمرو بما يسمونه الإدغام الكبير فهو يحرص عليه ويمتاز به عن غيره من القراء ، وقد يشاركه بعضهم في نوع منه ، وقد تكفلت بتفصيل ذلك كتب القراءات

أما اختلاف القراء في أن الفعل بالغيبة أو الخطاب ، أو أنه رباعي أو ثلاثي أو أن الاسم منون أوغير منون، وما شابه ذلك مما ليس من الأصول العامة ، ولا يعرف إلا عند فرش الحروف أي تلاوة الآيات ، فإن أبا عمرو كثيراً ما يوافق شيوخه الحجازيين فيما اختاروه .

وفاته .

في سنة ١٥٤ هـ تقريباً توفي أبو عمرو في الكوفة عند عودته من دمشق حيث كان في زيارة لواليها عبد الوهاب من بني العباس .

قال أبو عمرو الأسدي : لما أتى نعي أبي عمرو أتيت أولاده فعزيتهم عنه ، فإني لعندهم إذ أقبل يونس بن حبيب فقال : نعزيكم وأنفسنا بمن لا نرى شبهاً له آخر الزمان . والله لو قسم علم أبي عمرو وزهده على مائة إنسان لكانوا كلهم علماء وزهاداً . والله لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسره ما هو عليه . ويروى ابن الجزري أن قراءة أبي عمرو في القرن الثامن ومفتتح التاسع كان عليها الناس بالشام والحجاز واليمن ومصر. ولقد كانت إلى عهد قريب منتشرة بصعيد مصر ، ثم طغت عليها رواية حفص عن عاصم . رحم الله أبا عمرو رحمة واسعة .

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوي

مصادر البحث: (١) النشر (٢) إتحاف فضلاء البشر (٣) المكرر (٤) غاية النهاية (٥) الأغاني (٦) ابن خلكان (٧) بغية الوعاة (٨) نزهة الألبا (٩) أخبار النحاة (١٠) دائرة المعارف الإسلامية (١١) معجم الأدباء

الأدب الشعبي في الكويت

للأستاذ أحمد طه السنوسي

إن إمارة الكويت بحكم بيئتها ونشأتها وتكوينها قد خلقت لها أدباً شعبياً مشبعاً بظروف تلك النشأة والبيئة والتكوين ، فهي تقع بين بصرة العراق في الشمال والغرب ، والمملكة العربية السعودية في الجنوب بمتوسط من المنطقة المحايدة ، والخليج العربي (الفارسي سابقاً) في الشرق ؛ وهي إمارة حديثة التكوين تاريخها لا يتجاوز الثلاثة قرون ، وقد كان أكثر أهلها من القبائل النجدية والأحسائية ، وبذلك نرى أن أرومتها عربي قح ؛ كما نرى أن النجدية والأحسائية كان لها أكبر الأثر في أدبها الشعبي ، فبدا قوياً صريحاً فيه الإلهام الصحراوي وفيه الصلابة البدوية وفيه شيء من الجفاف ، ولكن الصحراء كثيراً ما أضفت عليه الجمال البارع وأمدته روحها البريئة في غمرات عذبة حنون . وقد طرق الأدب الشعبي الكويتي جميع أغراض الشعر فأجاد فيها وأبدع ، ولكنه لم يبلغ في ذلك شأواً بعيداً ؛ لأن الكويتيين لا يولونه كثيراً من العناية والتدليل ، إذ أن شعراءهم الكبار بأدبهم وأشعارهم الفصحى قد طغوا بها بعض الشيء على ذلك الأدب الشعبي المسكين .

بيد أن هناك فئة ممن استهوى الأدب الشعبي أفئدتهم وحفزهم على تشجيعه ، فقامت في سبيله مدرسة ابن فرج وابن فوزان ، وامتازت تلك المدرسة بإلهام عذب وخيال خصب ومعان سامية ووشي جذاب ، وبعد ذلك ولجت الكويت باب التطور والارتقاء وكانت على بابه منذ قليل ، وتطورت فيها الحالة الثقافية والعلمية والأدبية ، وكان قميناً بالأدب الشعبي آنذاك أن يثب بنفسه ويطفر الطفرة اللائقة للتطور ، ولكن التطور الحديث أضعف شوكة الأدب الشعبي على عكس ما كان متوقعاً .

وأنا أرى أن السبب في ذلك أن النفوس كانت مهيأة لاستقبال التطور استقبالاً أنساها كل شيء ، كما أميل إلى القول بأن الأدب الشعبي كان في بدايته قوياً صارماً فيه صلابة وجفاف إن استثنينا بعضه ، ونفسية الشعب الكويتي نفسية ساكنة وديعة تميل إلى خيال الحقيقة لا إلى حقيقة الخيال ، كما أن تطور الحالة الأدبية والعلمية لم يكن تطوراً كاملاً تم في لحظات ، بل ما زال إلى اليوم يدلف في دربه اللاحب ليصل إلى الأنوار والأضواء ، وبذلك وجد التطور هوى في النفوس الكويتية ، هوى فيه مقدمات وتمهيدات تدعو التطلع والاستطلاع عما يبرق من أضوائه في ثنايا الأفق . هذا وكانت النفوس متعطشة إلى الاستزادة من الثقافة والعلم ، فوجهت همها لتكملة ما يأتي به التطور ولمساعدة أشعته على النفاذ ولحشد جموع استقباله ، فتضاءل الأدب الشعبي وهو ينظر كاسف البال إلى ذلك الإعراض ، ولكنه ربما يسره في قرارة نفسه منتظراً ساعة النتيجة السعيدة لحداثة التطور ، فتؤوب إليه النفوس وتدفع العلوم الطريفة والفنون الجديدة مريديه لأن يحتفلوا ويحفلوا به ويهيئوا له الظرف المناسب ليأتي بالثمرة المرجوة منه والتي آتت بعض أكلها حين لاقى الإقبال والابتسام ، فكان مهداً لإصلاح النفوس وكان حافزاً للهمم وكان دافعاً للحماسة وكان موقظاً للنزعة والبسالة كما كان سبيلاً للدعاية الصالحة ...

* * *

كان العيد يزهو بدلاله ويرفل في غلائل نخوته ، وكان يومه مشرقاً مزدهراً ، ونظر أحد الفقراء في الكويت إلى مباهجه ومسراته التي حرم منها ، ثم أخذ يقول :

وين القماش اللي من البر جبنا   الله عليهم وإن كانوا من تحبنا

هذي السنة صارت علينا قضانا   أنتم تبون إفلوس واحنا مفاليس

تل أنتم أهل الجودات وأهل المروة

... سيجري شيء حدث فيكم يا ناسي توه

أشوف بالوقت تاخذونا قوه   ياما حديثونا بمجر ودبابيس

ونحن إذ نستمع لهذا القول قد نفهمه وقد لا نفهمه وأستطيع أن أشرح بعض المعاني لبعض كلماته على سبيل المثال ليتسنى لنا فهمه والحكم عليه .

وين : أين ، القماش : اللؤلؤ ، اللي : الذي ، جبنا : أتينا ، تبون : تريدون ، إفلوس : دراهم ، مير : لكن ، توه : الآن ، حديثونا : سقيتونا ، والمجر جمع مجر : عصا ملوسة الرأس ، والدبابيس جمع دبوس وهو عصا في رأسها قطعة من قار أو حديد .

ولندع هذا وننظر إلى هذا الشعر الشعبي الذي طالما أحبه الأطفال الكويتيون ورددوه .

يا هل (أهل) الشرق مروا بي على القيصرية (سي كويتي)
عضدوا لي وتلقون الأجر والثواب
واطلبوا دختر (طبيب) المشتاق يكشف على
كود (يمكن) يمسح على جرحى ويبرا صوابي

وقال الشاعر الشعبي الكويتي الكبير (فهد بورسلي) :

يا طير يلي كلما طار زاد العنا والهم فيّه
من يبتلي بحب البكار (الأبكار)
ضاجت (ضاقت) عليه أرض وسيعة (واسعة)
وقفت أنا والبال محتار يا أهل النظار ردوه عليّه
مامن جريب(قريب) يأخذ الثار من ساهي العين السجية

وفهد بورسلي أضعه في مرتبة كبرى من الشعراء الشعبيين في الكويت ، ولكن المأخذ الأوحد الذي آخذه عليه هو أن شعره يشوبه قليل من الانحلال في تركيبه ، بيد أنه شاعر له من لطف الشاعر وجميل الإشارات وبديع اللفتات وبهيج المعاني ما يقدمه في صفوف الشعراء .

وقال محمد نوزان :

أهلا عدد ما هلاوا بالمساجد	أو عدد ما ركب سرى يخبط البيد
بكتاب من نظمه سواة القلايد	ومرصع بالدر زهى على النيد

وقال عبد الله الفرج في الغزل :

عزيز لشكل مايوني وبينه	ومسهد بين التجافي والأبعاد
ما يختفي منه غرام يبينه	نوحه إذا نام الخليلون يزداد
ويلومك اللي ما بدا بالضنينه	ولا شغف قلبه من الخود مياد

ولي ملاحظة على أقوال هذين الشاعرين الكبيرين (ابن فرج وابن نوزان) فكثيراً ما أرى شعرهم محتفظاً بالصبغة الفصحى ، فتلقى فيه كلمات عربية فصيحة كثيرة لو أنعمت النظر في قراءتها وفي بحثها على حدة ألفيتها ترجع بالفكر إلى كلمات الشعر الجاهلي ، أما وقد زار ابن نوزان بعض البلاد الرائعة كلبنان الجميل ووجد الرقة والعذوبة في الألفاظ الشعرية السهلة لا في التضخم الجاهلي ، فسوف يتحول وسوف يضفي بدائع الثقافة الجديدة مع الألفاظ الحرية على شعره الشعبي الرائع فيزداد حلاوة وعذوبة ويبزغ لنا من جديد مختالا حالما تسرح العقول في سكرات من الحنين حين تتلاعب به لواعج الشفاه .

وقال أحد شعراء الكويت النبطيين :

لاتبتلي ذا الناس في شول الأثقال	تبلي بهم مثل الطفل في رضاعه
لو طاح منهم طايح ما حد شال	حمله ولو شول لك الله كرامه
رجل بليا مال ما هو برجال	لو هو على الشدة طويل ذراعه

وقال أحدهم في الهجاء :

ناس أرانب وألسنتهم حدايد	والدهن مطبهم اقبال وتصعيد
واللي على قلبه مدق السابد	والمتقى جوفه يحب الواليد

ومن طريف الغزل قول أحدهم :

شاقول يا هل الهوى شاقول	وهذا نصيبي من الخلائق
ومضمراً والشعر منسول	ليجيت أحب النحر عطاني

والحب بفتح الحاء عندهم هو التقبيل ، ولعل تلك الكلمة مستعملة في الجو الريفي المصري . ونستطيع أن نلمس الجمال والبراعة في الشطر الثاني من البيت الثاني ، إذ قد طغى جماله فتتزاحم في الفكر أخيلة حالة تشعر المرء بالانتعاش في قرارة نفسه ، كما تشعر عند تلاوة الشطر الأول من نفس البيت .

أما الرثاء ، فإن الكويتيين كما عرفتهم لا تحتل الأحزان والأشجان مكانا من قلوبهم ، وإن احتلت فالصمت والهدوء ديدنهم . ولقد تعجب إذا مات لأحدهم عزيز تراه ساكناً لا يفعل ما يفعل سواه في متباين الأقطار العربية . وقد تعجب لدهشته من كثرة عباراتك المواسية ورثائك وتفجعك من هول المصاب؛ لأنه يرى الموت أمراً محتوما ولا راد لقضائه ، فهو فيلسوف في هذا الطارق الحزين ، وبالرغم من ذلك فقد اخترق الأدب الشعبي الطارق ليبين لنا أن الكويتي وإن كان فيلسوفاً ساكنا إلا أن في فؤاده من الحزن دماً لا يتعدى نطاق القلب وسويدائه ؛ فأجرح الشعراء دوراً شعبية في الرثاء تؤثر في النفس تأثيراً عميقاً ، من هذا قول أحدهم :

الله من خطب دهانا بالأبكار أدمى القلوب تشب فيها السعاير
يا موت حسبك من تسقيه الأحرار
كاسات ليمات تحت المسراير
وسط اللحود وبين ملتف الأحجار
في ذمة المولى رهين المقابر

ولقد احتل الأدب الشعبي مكانة عظمى من الأغاني والأناشيد

أساليب التفكير :

التفكير في الشرق القديم

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجي

كل منا يسعى إلى استكناه أسرار الوجود ، وكشف الستر عن خباياه ، تتتابع على مشهد منه ظواهر الطبيعة ، وتتوالى أمام ناظريه مواكب الأحياء ، وتترى تحت سمعه وبصره أحداث الإنسان : فيعمل الفكر بغية اكتشاف أسباب هذه الأمور ، والبواعث التي تحدثها وتسيرها ، والغايات التي تتجه إليها والحكمة الكامنة وراءها . وجملة القول أن الإنسان يحاول تفسير ما يبصر وما يسمع وما يعي ، وتختلف تفسيراته تبعاً لتقدمه الفكري ومرتبته من التطور العقلي .

من أجل ذلك اختلفت تفسيرات الطفل عن تفسيرات الراشد المكتمل ، وتفسيرات المجنون عن تفسيرات العاقل المتزن ، وتفسيرات البدائي عن تفسيرات المتمدن المتحضر . اتفق الجميع على أمر واحد : هو البحث عن الحقيقة ما امتدت بهم أسباب الحياة ، ولكنهم يسلكون سبلا ثلاثاً أقصرها وأسلمها سبيل العلم ، وأرحبها طريق الفلسفة ، وأدناها وأكثرها التواء ودوراناً حول الحقيقة طريق التفكير الخرافي .

وقد حدثت القراء في مقال سابق عن التفكير الخرافي في حياة الفرد ، وانتهيت معه إلى أنه برغم بعده عن الحقيقة الموضوعية ، وانحرافه عن القصد في محاولة بلوغ الواقع ، يعد وثبة أولى في طريق العلم والعرفان ، ومحاولة ساذجة لكشف أسرار الوجود ، ومرحلة لا زمة في التطور الفكري لا بد مسلمة إلى ما هو أرقى : إلى الفلسفة والعلم .

والبشرية في تطورها الفكري كالفرد في تطوره الفكري . لم تكشف عن قوانين الجاذبية ، ومدار الأفلاك ، والقوة الكهربائية ، والطاقة الذرية ، إلا بعد جهاد عنيف ، وكفاح فكري شاق دام آماداً طوالا ، ومحاولات مضنية كان أولها التفكير الخرافي الذي يسم العقل البشري في طفولته .

الكويتية بأنواعها ، وأنا أذكر بيتاً من نشيد نبطي هو :

لابتي (يا أصحابي) حناشبوب الحرايب (الحروب)
وانطفت حنـــا ســـنا نارهـــا

كما أذكر أغنية من (أغاني الدوازم) وهي نوع من الغناء تطرق إليه الأدب الشعبي الكويتي :

وأمسى الضحى باديا فـــريج (فريق) مصبح
جينا الطوع (أتينا الشيخ) يحدث أبي الأبصار
يقول : طرد (أي طالب) الهوى نارن (نار) شمالي
والله لا أسمع حـــديثه لو يجنه (يجن)
واتبع هوى البيض في هرجن (الكلام) يقالي

وملاحظتي الأخيرة من هذا الأدب الشعبي أنه لم يتبذل في القول ، ولم يتخذ على الكلام سبيلا للنكات الفاحشة والأغراض السقيمة بل هو ذو أغراض طيبة تجني الكويت من ورائها كل خير وكل فائدة .

وما هو إلا قليل من العناية وقليل من التشجيع ومزيد من الثقافة الجديدة التي أنعمت سماء الكويت وأرضها تغدق على الأدب الشعبي حتى يكون في مصاف الآداب الشعبية . وأنا أرى أن الكويت في حاجة ماسة إليه لتتخذه وسيلة لدعايتها الوطنية ، وقد جربت فيه ذلك فوجدت الدرع الفولاذي والفكر العبقري .

ولا يغيب عنا أن اللهجة الكويتية الأثر البين في الأدب الشعبي في الكويت ، وسأبحث تلك اللهجة في مقال مقبل بحثاً مستفيضاً ، إذ أن قراء العربية في حاجة ماسة لأن يعرفوا الشيء الكثير من الكويت ، وقد ارتقت رقياً باهراً في أوقات قصيرة ؛ بيد أن وهن الدعاية وقلة أساليب التعارف ووسائلها بين أقطار العالم العربي يحول دون إبداء الحقيقة والمعرفة الصحيحة ، وما أحوجنا إلى إبدائها ونحن في فترات أحوج ما نكون فيها إلى التآزر والتضامن في جميع عناصر الحياة .

أحمد طه السنوسي

فالتراث الفكرى الذى خلفته أجيال البشر يبين أن أول مرحلة من مراحل التفكير كانت مرحلة دينية صرفة ، يمتزج فيها التفكير بالخيال .

ونحن نعلم أن الفكر الإنسانى بزغ أول ما بزغ فى الشرق القديم : عند المصريين والفرس والأشوريين والبابليين والهنود والصينيين . ونظرة عامة إلى ما خلف هؤلاء من محاولات تفسيرية تكشف عن غلبة العاطفة الدينية ، وسيطرة التقاليد الموروثة ، والجنوح إلى الخيال .

ولا بد لتفكير يصدر عن الأهواء والعواطف ، ويستمد المعارف من الخيال والأوهام ، ويستهدف السعادة فى الدنيا والآخرة ، لا بد لتفكير هذا شأنه أن ينتج عقائد دينية ، وفنوناً جميلة ، وحكمة أخلاقية ، كل ذلك فى مزيج واحد متفاعل لا فرق فيه بين علم وفن ودين وأخلاق ، حتى لنجد علماء القرون الغابرة هم شعراؤها وحكماؤها وكهنتها فى آن واحد .

ألا ترى إلى الكهنة المصريين فى العهد الفرعونى يرعون الدين ، ويحمون الفضيلة ، ويحملون رسالة العلم ، ويرفعون لواء الحكمة ، ويوجهون سياسة الدولة ، ويتحكمون فى مصير الشعب ؟ أولم يكن شعراء العرب فى بداوتهم ، وشعراء اليونان قبل عصر الفلسفة قادة الفكر وقادة المجتمع فى هذه الربوع ؟ فامرؤ القيس والنابغة والأعشى وزهير فى جزيرة العرب ، وهومير وصحبه من طبقة الأحقاب أعلامهم فى بلاد اليونان .[1]

وهل ننسى أن زرادشت حكيم الفرس كان داعية دينية لعقيدة تحمل بين ثناياها فلسفة ناشئة ؟

وهل كان بوذا الحكيم الذى خلد فى تاريخ الفكر بحكمته الأخلاقية وتحرره الفكرى وآرائه السياسية ، إلا كاهناً لإحدى القبائل الهندية الكبرى وابنا لشيخها ؟

وجملة القول أن التفكير العراقى فى الشرق القديم يتصف بخصائص ثلاث : الخضوع لسلطان الدين أى التقاليد الموروثة المقدسة ، والاتجاه الخيالى ومن هنا كانت صلته الوثيقة بالفن ، والنزعة الأخلاقية .

وعلينا الآن أن نستعرض أمثلة من الفكر الشرقى القديم مبتدئين بالتفكير فى مصر القديمة .

لم يكن المصريون دين واحد ، بل أديان عدة اختلفت باختلاف الأقاليم ، وتطورت مع تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى وادى النيل . وقد برزت الديانة المصرية القديمة كعامل هام فى حياة الشعب ، فى عهد مشيدى الأهرام كخوفو وخفرع وأوناس ، وفى عهد الملوك الغزاة كتحتمس الثالث وسيتى الأول ورمسيس الثانى[1] .

والذى يهمنا فى هذه الديانة هو تصور المصريين للكون ، ومعالجة تفسيراتهم لأحداثه : فهذا أمنحتب الرابع ، الذى عبد آتون (قرص الشمس) فسمى لذلك « أخناتون » أى روح آتون ، ينشد مخاطباً قرص الشمس معتبراً إياه علة الظواهر الطبيعية ، وقوة روحية تدبر الكائنات :

« يا شمس النهار ، يا من تخشاه البلاد القاصية
أنت موجد حياتهم
أنت الذى خلقت فى السماء نيلا
لكى ينزل عليهم ولهم .
يتساقط الفيضان على الجبال كالبحر الزاخر
فيسقى مزارعهم وسط ديارهم .
ما أبدع تدابيرك يا إله الأبدية ... »

هذا ولم يكتف المصريون بعبادة الشمس من حيث هى مصدر الحياة ، وإنما قدسوا النيل ، واتخذوا من السماء إلهاً ، ومن الكواكب أرباباً ، كما يتبين من دعاء ورد فى إحدى أوراق البردى ذلك نصه : « أنت الإله الأكبر ، سيد السماء والأرض ، خالق كل شيء ، يا إلهى وربى وخالقى ، قوّ بصرى وبصيرتى لأستشعر مجدك ، واجعل أذنى صافية لأقوالك ... »

وهكذا يتبين تأليه المصريين لقوى الطبيعة بحكم بداوتها الفكرية ، شأنهم فى ذلك شأن الطفل : موضوعات الدين فى ذهنه صور حسية خيالية ، لم ترق بعد إلى المستوى العقلى التجريدى ؛ العاقل الذى يميل بحكم طوره العقلى إلى أن يضفى على الكائنات جامدة كانت أو حيوانية صفاته الإنسانية ؛ فيرى الشمس والقمر

(١) انظر كتاب قادة الفكر للدكتور طه حسين .

(١) انظر كتاب الأدب والدين عند قدماء المصريين تأليف الأستاذ أنطون زكرى .

والنجوم حاصلة على صفات الكائنات الإنسانية ، من قدرة وإرادة وفهم ، الأمر الذي يجعله حينما يصطدم بحائط أو باب صدمة تؤلمه ، ينهال عليه ركلا ، مفرغاً فيه حنقه كما لو كان الحائط أو البـاب ذا إرادة شريرة ، وكما لو كان يحس الألم كما يحسه هو .

وهذا يذكرنا بأحد الأباطرة القدماء الذي انهال على مياه البسفور ضرباً بالسلاسل لأنه اجترأ فاكتسح أسطوله .

فسلوك المصريين القدماء إزاء قوى الطبيعة المعبودة ، وسلوك الطفل إزاء الباب ، وسلوك الامبراطور الحانق على البسفور سلوك ناجم عن تصور خرافي لحوادث ، وتعليل وهمي لها .

آمن المصري القديم بخلود الروح . ولا يسع من يستعرض مقابره ونقوشه ومعابده إلا أن يستوثق من سيطرة هذه العقيدة على ذهنه سيطرة أذهلته عن واقع الحياة ، ومن شوقه المتحرق للعالم الآخر ، شوقاً أطلق الخيال يجوب في آفاق هذا العالم المجهول ، فيرسم صورة لحياة الروح بعد مغادرة الجسد ، صورة هي لوحة فنية لا أثر للعقل فيها ، ولا فضل للبرهان في تثبيتها ، إنما الفضل كل الفضل للخيال الذي أنتجها ، وللعاطفة الدينية التي ألهمتها .

هذا « أوزوريس » الإله الصالح (رمز الخير والعدالة) رأس محكمة العدل الكبرى ، يجلس على عرشه في صدر قاعة يكلل سقفها القناديل وعلامات الحق ، وأمامه أحفاده أبناء « حورس » وآلهة أركان العالم الأربعة ، ومعهم اثنان وأربعون قاضياً ، بعضهم رؤوس بشرية ، وبعضهم رؤوس حيوانية ، وعلى رأس كل منهم ريشة نعامة رمزاً للمعبودة (معت) ، ممثلة الحق والاستقامة والعدل ، وفي يد كل منهم سيف لقتل الخاطيء ، ووظيفتهم ملاحظة ما يظهر في كفتي الميزان الذي يزن الحسنات والسيئات .

وأمام « أوزوريس » وحش مفترس متحفز لافتراس الميت إذا رجحت كفة خطاياه . ثم يقف الميت على باب قاعة العدل خائفاً مرتعداً في الساعة الرهيبة التي يقرر فيها مصيره ، ويترافع عن نفسه ، ثم يصدر الحكم بالبراءة أو الإدانة ؛ حتى إذا انتهت المحاكمة أمر « أوزوريس » بالفائزين إلى الجنة وبالخاسرين إلى الجحيم .

هذه أفكار الخلود والثواب والعقاب ، كما يصورها كتاب الموتى تصويراً حسياً خيالياً ، دون برهان ودون تفكير عقلي خالص . إنما هي محاولة فكرية لمعرفة ما وراء الموت ، ومصير المذنب ونهاية المحسن ، محاولة استخدمت فيها الوسيلة الوحيدة التي يسمح بها ذلك الطور من النمو العقلي : طور الخرافة والعاطفة .

وما دمنا بصدد الحديث عن المذنب والمحسن ، أو عن الخير والشر فلنتقل إلى « زرادشت » ، أبرز حكماء الفرس ، الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد ، وخلف ديناً لا يزال له أتباع حتى اليوم في ربوع الهند وغيرها .

وقف زرادشت حائراً في عالم متناقض فيه الخير والشر ، والجمال والقبح ، والسعادة والشقاء ؛ وأعمل فكره محاولا تفسير شطري الوجود فصور العالم نهباً لروحين متصارعين : أورموزدا وأهريمان . الأول إله الخير ، صانع السماء والأرض والبشر والملائكة الأبرار ؛ والثاني إله الشر ، علة الموت ومفشي الرذائل ومحدث الأمراض والشياطين . الأول يؤلف مع ملائكته وأتباعه الصالحين حزب الحق ، والثاني يؤلف مع شياطينه والكفار النافقين حزب الباطل . والحرب بين الحزبين سجال . ولكن زرادشت حكيم متفائل ، يدفعه تفاؤله إلى تصور نهاية سعيدة للرواية الكونية ، إذ يغلب الخير في النهاية ويصبح العالم كلا واحداً متجانساً إلى أبد الآبدين .

(البقية في العدد القادم) عبد المنعم عبد العزيز المليجي

إن جسمي من بعد خالي لخل

للأديب ناصر الدين النشاشيبي

(بمناسبة ذكرى وفاة العلامة النشاشيبي)



أبكيك اليوم يا خالي في يوم ذكراك وكأني فقدتك في أمسي القريب، وأتوجع عليك بعد عام في مرارة القريب وأسى الحبيب، فلا أدري أأحدثك عن نفسك — وأنت أشد الناس عداوة للحديث عن نفسك. أم أنقل إليك أخبار وطنك وأنباء أمتك — وأنت أحرص أمة محمد على أرض الرسل ومسرى الأنبياء، وأشد الناس فخراً بخير أمة أخرجت للناس... فيبكيك حديثي، ويشجيك نواحي وأنيني، ويزعجك في مثواك الأخير صيحات بلدك الممزق، وأمتك الشردة، وتراثك الضائع، وأملنا المفقود !!

كيف أبكيك وما عرفتك إلا جباراً في جميع نواحي حياتك؟ إن تحدثت خرجت كلماتك كالقذائف من أعماق نفسك، وإن خطبت — وما عرفتك خطبت — إلا بكيت وأبكيت. وما سمعتك تحدثت إلا أثرت وتأثرت، وما قرأت لك إلا تمثلتك أحد الصحابة في إيمانك وصوفيتك، وما من مرة ورد ذكرك على لسان الناس إلا رجعوا بذاكرتهم إلى عصر النبي وأيام الجاحظ وأبي عبيدة والمبرد وصفوة الأدب الخالد... يتحسرون على بحور العلم وقد مسها الجفـــاف، وموسوعة الأدب والعبقرية وقد احتواها — ويا أسفي — التراب !!

هذا حديثي إليك بل بكائي عليك على صفحات رسالة صاحبك إمام النثر كما كنت تدعوه. وهو يسألني عن «النقل» فلا أجده، وعن الحديث فلا أسمعه، وعن المجلس فلا تبصره، ثم نفتقدك في أيام الشتاء — أيامك في قاهرة المعز — فنجد مكانك المعتاد وقد أقفر من الصحب والخلان، وزوارك الطارقين والمترفين وقد تخلفوا عن الركب وانقطعوا عن الزيارة، وما زالوا في دهشة من أمرك، وحيلة من مصيرك، يسألون ويتساءلون:

— كيف..؟ كيف تخلفت، وكيف غبت، وكيف انقطعت يا أعز الراحلين.؟!

إن قلبي ليبكيك بلسان الكثيرين من تلاميذك وزملائك وقد عشت لهم مخلصاً ومتفانياً في أدبك، وجاهدت في سبيلهم بجهادك القوي في سبيل المعرفة، ومشيت معهم نحو دنيا النور والعلم فما كلت لك عزيمة، وما وهنت لك إرادة، وما عرفت معنى للضعف وأنت تصل الليل بالنهار في دراساتك وأبحاثك متنقلاً بين القاهرة «موئل العرب والعربية» وبيروت (وبيروت مدينة تهذيبي) وحلب الشهباء بلد صديقك إبراهيم «سلام على إبراهيم»! وبغداد حصن الصدون «وأمة منها الصدون لن تموت»! وكنت في كل أطوار حياتك المثل الأول لمن يحيا في سبيل فكرة — فكرة محمد ولغة محمد! ولمن يجاهد في سبيل مبدأ — مبدأ العرب والعربية. وهذه الإشارات تملأ أرجاء قصرك — «يا محمد.!!» وهذه الآيات البينات تزين أسوار بيتك — «وأنا عبدك يا رسول الله.!» وهذا الضعف في كبرياء القوي وهذه القوة في تواضع المسلم وهذا الإخلاص للغة الكتاب «أنا عبدها.. أنا عبد عبدها.. أنا عبد كل عبد يسود بعبديتها» وهذا تراثك في محمد ولغته ورجاله وهنا «إسلامك الصحيح» و«بستانك» و«كلماتك» و«نقلك» و«خطبك» وكل ما كتبت ونقلت وصححت وراجعت الدليل الصادق على أنك عشت وما عشت إلا لإسلامك، وعملت وما عملت إلا للغتك ولغة نبيك!

نشأت ثائراً على الدنيا وأنت وحيد أبويك فثرت عليهما وعلى الأهل والقربى. وترعرعت بين الخير والنعيم فدفعته بيديك ورغبت عنه لتشبع نفسك بصوفية الأقدمين، وزهد المؤمنين، ومشيت في خطوات الحياة لا أنيس لك إلا الشاعر أو ديوانه،

أنانيـــة مجرب

للأستاذ ثروت أباظه

صاحبي شاب رقيق العاطفة ، جياش الحس ، يلذ له أن يقف منك موقف الناصح ، ولكنه إذا فعل سار على نهج لا تكلف فيه حتى لا تملك تلقاء حديثه إلا أن تعيره الأذن الواعية والروح المقبلة . وأنت حبيب إلى نفسه ، مقرب إليها ، إذا قبلت منه نصحه . وأنت أكثر حباً إلى نفسه وأكثر قرباً منها إذا ظهرت أمامه خالياً من التجاريب مقبلا على دنياك إقبال الطفل . إنه إذ ذاك يفرح أن جرب هو ولم يجرب من هو أكبر منه ، وأن يقف هو إلى هذا الأكبر موقف الناصح المرشد الذى خبر من الماضى ما يكشف به عن القابل .

لعلى بهذا الوصف أكون قد ألقيت الضوء على عيبه الواحد . فإنك لتراه بعد هذا شفيف الروح ، مهذب الألفاظ ، مرح الدعابة واسع الاطلاع ، دقيق اللفتة . أما عيبه الذى ذكرت فأمره علىّ يسير . إن مثلى به توثقت حتى لا تزينها غش أو توهنها مصارحة ؛ فتراني إذا نصح ناقشته مقبلا على النقاش فى غير ضيق فقد مرن منى على هذا الأمر حتى أصبح بعد لكل نصيحة نقاشاً ، ولكل حكمة أكتسبها من ثمار تجاربه حججاً وبراهين وأمثالا . وأنا مع ذلك حبيب إلى نفسه مقرب إليها لا يمل نقاشى ولا أمل نصائحه .

أقبل يوماً على مجلسنا تعلو وجهه سمات الجد والرزانة فعرفت أن حالة النصيحة قد أدركته وأنه يريدنى على أن أسمع بعضاً منها ؛ وكم أكون كريماً لديه لو سمعتها جميعها .. عرفت هذا فانتحيت به ناحية وقلت :

— مالك ؟

— اسمع ، لقد أثبتت تجاربى أن كل الناس أشرار .. وأنه يجب على الإنسان أن يقبل على أصدقائه شاكا فى ولائهم ، حذراً من شرهم ، فليس فى الناس صديق ، وليس فيهم إلا الخؤون ، وإنك إذا توقعت منهم الخير ثم فجئك الشر دكت الواقعة من كيانك مهما تقهت ، أما إذا توقعت الشر ثم طالعك الخير فإن ذلك يفرحك ، ولكن حذار مع هذا أن تأمن الجانب وتطمئن فقد يمهد الخير للشر كما يمهد الدفء للحريق .. إبق على شكك وحذرك فالكل شرير .

ولا جليس منك إلا الكاتب أو رسالته ، ولا شاغل لديك إلا البحث والدرس واستقصاء والتحقيق ، حرمت نفسك الزوج والولد بعد أن حرمت والديك لذة الحرص على صحتك والعناية بشأنك والفوز بقوتك ، وكأنك أردت لنفسك طريقاً خاصاً فى أسلوب حياتك ، ونسجت لذاتك منوالا فذاً فى جوانب تفكيرك ، فكنت كما عرفك الناس ، فريداً فى أسلوب أدبك ، وحيداً فى تصور خطك ، ذائقاً — فى عقمة — فى لسانك ، ثائراً فى انفعالات عواطفك وأعصابك ، متوقداً فى ذهنك وتفكيرك ، بسيطاً فى ملبسك ، منطوياً على نفسك البريئة ، وروحك العذبة وقلبك الذى ما خفق إلا بالحب والوفاء . هكذا نشأت ، وهكذا ترعرعت ، وفى سبيل هدفك صرفت وضحيت .

وبيتك كعبة الحجاج من أهل الفضل والفضيلة ، ومجلسك قبلة الأنظار من أهل العلم والمعرفة ، وأنت .. أنت الروح فى كل مجلس ، وأنت الحجة فى كل حديث ، وأنت المتمكن من كل قول ، وأنت الرقة فى كل سمر ، وأنت الراعى لكل تراث .!

أين أنت ؟ وإن خلفت عربك وعربيتك ؟ ولمن تركت « رسائلك » و نقلك » ؟ ومن أولى منك « يا إمام العربية » بتراث العربية ؟ وأنت خادمها ، وأنت عبدها ، وأنت لها ، وأنت الدافع فى كل حين عنها ، وأنت القائل منذ أربعين عاماً أو تزيد :

فإنى بأرض الشرق أخدم أمتى ... وأرجو لها فى كل واقعة نصرا
أخوض غمار الكون بالعلم والتقى ... ولا أسأل القوم العظام لى الأجرا

يا أبا عبيدة ! إنى عليك لمكاوم ، ولفقدك لحزين ، وإن حرمتنى الأيام منك فى حياتك — وأنا فى مهد الصبا ، ومقعد الدراسة — ثم حرمتنى منك بعد أنْ حرمك الموت من نعمة الحياة ، فإن ذكراك ستبقى حية عندى ما حييت ، وستبقى خالدة على مدى الأيام ما بقيت العربية .!

يا خال ...

عليك رحمة الله .. وإلى اللقاء ..!

ناصر الدين النشاشيبى

— حسبك .. حسبك فإني أرى النوبة قد عاودتك ، ولكنك في هذه المرة على غير مألوفك من الأدب ؛ فها أنت ذا ترميني في وجهي بالشر وسوء الطوية .. ألست واحداً من أصدقائك الأشرار؟! بل إنك لتريد فتريدني أن أظن بك السوء بلا موجب أراه أنا ! ولكن أتريدني حقاً أن أصدقك ؟ أجادٌّ أنت فيما تقول ! أمشي مع الناس فلا أرى غير الشر ولا يخالجني غير الحذر والخوف ! أي تجارب تلك التي أوحت إليك بهذه الشرور ؟ أو تكون مجرباً حقاً إذا قلت هذا ؟ ما أسهل هذا الأمر وما أصعبه ! إن المجرب يا صديقي — في رأيي — هو الذي يعرف معايير الناس ويزن كلاً بميزان .. يمدحه أحدهم فيصل إلى باعث هذا المدح .. ففي الناس من يبذل المدح ثمناً لخدمة له عندك . ومنهم من يبذله ثمناً لمدح مثله . ومن الناس من يمدح رغبة منه في المجاملة ، ومنهم الصادق في مدحه ، وهذا هو النوع الأمين النادر ، إنك لواجده صادقاً في نقده أيضاً إذا نقد .. المجرب هو الذي يفرق بين كل هذه الأنواع ، والمجرب هو الذي يعطي لكل من هؤلاء مكانه الحقيق به من نفسه . أما إذا سوّيت بينهم جميعاً ورميتهم كلهم بالشر . فأنت غر لا تعرف الناس ، ولم تجربك الأيام ولا جربتها . يعز عليك أن تقتنع .. أعلم ذلك ، ولكن ربك ما الذي بعث في نفسك كل هذه الثورة ؟ هل من جديد ؟

— الجديد هو معرفتي أنني الغبي الوحيد بين هؤلاء الناس . أنت تعرف صديقنا فلاناً ، كنت أؤثره وأحبه ، توطدت بيننا الصداقة فأصفيته ودي ، لكنه عرف أنني مقدم على مشروع تجاري فسبقني إليه ، واستعان بسلطان كبير أطاح من يدي الفرصة إلى يده .. أرأيت أنانية كتلك الأنانية ؟!

— نعم .. رأيت أكثر منها .

— أين ؟

— أنانيتك أنت .. إنك — والحمد لله — لا تعرف عن التجارة شيئاً وهي مهنته . وأنت — والحمد لله — في بسطة من رزقك ومحبوحة من عيشك ، وهو يسعى وراء رزقه ، ويشق في سبيله ، فلماذا تعترض طريقه ؟

— ولكنني صديقه ، كان يجب أن يستأذنني .

— أو كنت تأذن ! . يا صاحبي إنني أنا وأنت وكل إنسان في العالم أناني بطبعه ، إنك لترى الأنانية في كل خطرة ينشغل بها ذهنك ، وفي كل خلجة يختلج بها قلبك .. إن الخير في ذاته نوع من الأنانية . إنك إذ تقوم بذلك الخير ترجو شيئاً من شيئين : إما ذكراً طيباً في الدنيا ، أو مثوبة كريمة في الآخرة . وأنت على الحالين أناني . قد يسمو بك شعورك فتفعل الخير ترضي به نزعة في نفسك ، وأنت في هذه الحال أيضاً تنظر إلى نفسك فترضيها بعمل الخير .. لن تقتنع .. أعلم ذلك ولكنه الحق . وتريد صاحبك على أن يترك قوته لك حتى لا ترميه بالأنانية .. إنه أناني ولكن دعه يأكل ، والله ما الأناني إلا أنت .

— ألا تشعر بأنك تمزح .. أتسوي بين التناحر وعمل الخير .. أإن منعني صديق من كسب موشك كان في عمله مثل من يقوم بالمعروف . وتدّعي بعد هذا أنك تعرف المجرب وغير المجرب ، وتبيح لنفسك أن تلقي هذه المحاضرة الطويلة عن التجربة

— قلت إنك لن تقتنع .. ولكن يجب أن أصحح ما قام بذهنك .. لا .. أنا لا أسوي بين العملين ، لكنني أرى في كل منهما أنانية وإن تفاوتت نسبتها .. إن في كل منهما صورة من الأنانية تختلف قبحاً وجمالاً .. ألا ترى ..

لم يطمئن صديقي أن يصبر أكثر من ذلك ولم تسعفه الحجة فقام عني مغضباً دون أن يسلم ، ويعلم الله أين مكاني من نفسه الآن .. ولكنني ما زلت أعتقد أنني حبيب إليها قريب منها .

ثروت أباظة

مباحث الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية : (٤)

(١) النفس عند ابن سينا (٤)

للأستاذ كمال دســـوقي

لا يفوتني قبل أن أتقدم بكم إلى موضوعنا اليوم أن أنبهكم إلى هذه الصلة الوثيقة بين العقل بقسميه النظري والعملي عند ابن سينا وبين تصنيفه العلوم العقلية . ولما كنت أخشى ألا يتيسر لكم الوقوف على هذا التصنيف في كتابه الشفاء ، أو في مقدمة منطق المشرقيين أو في رسالته في أقسام العلوم العقلية ، فإني مُجمل لكم الحديث عن لوحة تقسيمه للعلوم هذه التي ينبغي أن تقفوا عليها وأن تربطوها بأقسام العقل النظري والعملي التي حدثتكم عنها في المقال السابق .

ذلكم أن العلوم تنقسم عند ابن سينا كذلك إلى نظرية وعملية . فالنظري منها ما كانت غايته حصول الاعتقاد اليقيني بحال الموجودات التي لا يتعلق وجودها بفعل الإنسان ، كالله والكواكب ، والأرض ، والأعداد ... الخ اعتقادا غايته الوصول إلى الحق Truth والبحث عن الحقيقة Vérité . أما العملي فيتجاوز حصول الاعتقاد إلى حصول رأى عملي فيما هو من تدبير الإنسان وكسبه ؛ حصولا من شأنه أن يؤدي بنا إلى الخير Goodness أو Bien ، فهنا تفرقة للأشياء من حيث وجودها بإرادتنا أو بغير إرادتنا وكيفية علمنا بها على هذا الأساس .

والعلوم النظرية عنده ثلاثة : العلم الأدنى (الطبيعيات) ؛ وموضوعه هذه الأمور التي حدودها وجودها يتعلقان بالمادة والحركة ، كأجسام الأفلاك التي تحدثنا عنها ، والعناصر الأربعة وكل ما هو جسمي على الإطلاق . مما يتغير عليه الحركة والسكون والكون والفساد والتغير والاستحالة . ولهذا العلم مبادئ أصلية نظرية هي التي ذكرناها حين كنا نتحدث عن موضع النفس من مذهب ابن سينا ، وتطبيقات فرعية كالطب والتنجيم والفراسة والكيمياء مما يقوم على المبادئ الأصلية السابقة . ثم العلم الأوسط (الرياضيات) وموضوعه أمور يتعلق وجودها بالمادة وإن تجردت حدودها عنها ، كعلم العدد (الحساب) والهندسة (علم السطوح والأشكال والمقادير) وعلم الهيئة (الأفلاك وأوضاعها وحركاتها) والموسيقى (علم النغم والإيقاع واللحن والاتفاق -) هذه مبادئه الأصلية ، وله كذلك فروع تطبيقية كالمساحة والحيل (الميكانيكا) وعلم المناظر والمرايا وجر الأثقال ونقل المياه ... الخ . وأخيراً العلم الأعلى (الإلهيات) التي ليست أمورها ذات تعلق بمادة أو حركة والتي تبحث في ذات الواحد الحق وصفاته من هُويّة identité ووحدة وعلّية Causolité ... الخ . وله هو الآخر أصول وفروع لا داعي للإحاطة بها .

أما العلوم العملية فهي التي موضوعها الأفعال التي تشترك مع غيرنا أفراداً وجماعات — وهذه بطبيعة الحال أمور من محض فعلنا وإرادتنا . فإن كانت لتدبير يختص بشخص واحد بما يحقق له السعادة فهي علم الأخلاق ، وإن كانت تبحث في تدبير الإنسان لأسرته وزوجه وولده ومملوكه (خادمه) بما يحقق سعادتهم أيضاً فذلك تدبير المنزل ، وإن كانت هذه الأمور تتناول صنوف الرياسات والسياسات والمجتمعات والمدن الفاضلة فذلك هو علم السياسة ... هذه هي العلوم العملية عند ابن سينا ، وهذا تصنيفه للعلوم كلها وتصنيف الفارابي قبله . والمنطق هنا يجعله ابن سينا مقدمة وآلة Organon للعلوم فحسب ، وإن كان في تقسيم كتبه فعلا يجعله القسم الأول منها ، ثم يتبعه بالطبيعيات فالإلهيات — على نحو ما بينت لكم من قبل — ونكتفي بهذا التقسيم لابن سينا؛ لأنه أرسطالي من جهة ، ولأنه أدنى إلى موضوعنا في تقسيم النفس إلى نظرية وعملية ، من جهة أخرى . وإلا فإن له تقسيما آخر مختلفاً بعض الشيء (في مقدمة منطق المشرقيين) لا داعي لذكره .

ويهمني — ويهم ابن سينا كذلك — أن تميزوا بين أنواع الإدراك المختلفة التي تحصّلها كل ملكة من ملكات العقل ؛ فإن له هنا نظرية في المعرفة جديرة بالاعتبار ، ونظراً في طبيعة الإدراك من حيث علاقته بالشيء المدرَك . فإذا كان الإدراك هو أخذ صورة المدرَك مجردة عن المادة أيّ نحو من التجريد ؛ فإن الحس يدرك الأشياء مع لواحقها المادية ، كالتكثر ، والانقسام ، والكم (العدد) والكيف (الخصائص والصفات) والأين (المكان) والوضع ... الخ . والخيال يجرد صورة الشيء المدرَك

من المادة تجريداً تاماً تقريباً ، يستوى معه وجود الأصل أوعدمه ولكنه لا يجردها من اللواحق ، بل تظل ملابسة لها فى الخيال . أما الوهم فإنه يدرك المعانى التى قد توجد فى مادة ولكنها ليست فى ذاتها مادية كالخير والشر والملائم وغير الملائم ، إدراكا جزئياً لا يبرأ من لواحق المادة والحس والخيال . وأما العقل — أوالحاكم العقلى كما يسميه — فيدرك الصور مجردة عن المادة من كل وجه وعن علائقها ولواحقها من أى نوع .

ولا يخفى عليكم أن ابن سينا يمهد للدخول فى إثبات وجود النفس بوصفها جوهراً مفارقاً للبدن ، فيقيم لكم التناقض واضحاً جلياً من مادة الشيء المدرَك — حتى فى غيبته عن الحس — وجوهرية العقل المدرِك ؛ بين تعلق هذا الأول بالمادة والمكان والجهة ، وتجرد ذلك الثانى منها . يريد أن يخلص من ذلك إلى أنه لاشيء مما يدرك الجزئيات المادية إلا وهو مادى ، وأن لا شيء أيضاً مما يدرك الكليات العقلية إلا وهو مجرد ، وأن يدلل على أن الإدراك الحسى والخيالى والوهمى — نظراً لتعلقها جميعاً بصور جزئية خيالية على نحو ما أسلف القول — فهى إنما تقع بالآلة الجسمانية التى ليست مجردة من المادة ولا مفارقة للوضع الجسمى .

أما الجوهر الذى هو محل المعقولات المجردة فمجرد كذلك من المادية والجسمية — فهو ليس جسما ولا حالا فى جسم بوصفه صورة أو قوة له . وحجته هنا تقوم على إنكار ما أثبته فى الفصل السابق للقوى الإدراكية الجزئية على القوى المدركة العقلية — أعنى الانقسام المادى فى القوى الحاملة أو القابلة للإدراك ، نتيجة لانقسام المدرَك ذاته . فلما كانت المدركات الحسية منقسمة ومتجزئة بدليل أنك تدرك الشيء الواحد — كالإنسان مثلا — متفاوتاً فى الكبر أو الصغر ، وأن هذا التفاوت لا بد أن يكون من جانب المدرِك أو المدرَك ، فقد كانت القوى الدراكة الجزئية منقسمة كذلك . وإذن فهى فى مكان ووضع وجهة ، وبالتالى فهى مادية كمدركاتها ، متصلة بها غير مفارقة .

وطريقة ابن سينا فى إثبات تجرد جوهر العقل من المادة أن يبرهن على أن هذا الجسم الذى سيحل فيه المدرَك العقلى إن كان جسما — فهو إما غير منقسم (جزء لا يتجزأ كالذرة — باعتبار ما مضى — وكالجوهر الفرد أو النقطة الرياضية) أو مقدار منقسم فعلاً . فإن كان الأول فهو غير معقول ؛ لأن النقطة وهى منفردة لا تقبل شيئاً من الأشياء وإلا أصبحت ذات وجهات (حجم) ولم تعد نقطة ، ولأنها وهى طرف من خط هى نهايته فلا بد أن يكون لجزء من هذا الخط نصيب مما تقبله ؛ وحينئذ يكون للنقطة وجهان أحدهما غير الآخر ومخالف له . فالوجه الذى هو نهاية الخط غير الوجه الملاصق له من الناحية الأخرى . وإلا كانت النقطة منفصلة عن الخط ولم تكن هى نهايته ، وهذا خُلف مع ما افترضه من قبل ، ومع إبطاله فى مواضع أخرى للجوهر الفرد تثبت إذن فساد القول بأن جوهر العقل شيء غير منقسم .

ويتضح كذلك فساد أن يكون شيئاً منقسما تبعاً لانقسام الصورة العقلية التى يدركها مثلا . إذ لو كانت الصورة العقلية منقسمة لم يأت من مجموعها شبيه بها إلا بالزيادة والكم والمقدار مما سبق أن قلنا إنه خاص بالصور الخيالية — كما أن أحد أجزائها لن يدل على معنى الكل وإلا كان هو الكل ولم يكن ثمة انقسام . هذا إذا كان القسمان متشابهين؛ أما إذا كانا غيرمتشابهين فإنه يترتب على ذلك أن حد الصورة العقلية (الذى هو الجنس والفصل كما دوَّنه فى باب الكليات الخمس والتعريف) يكون منقسما . وهو عند ابن سينا محال لأنه يبين هنا — وفى قسم المنطق من قبل — أن الأجناس والفصول متناهية وغير منقسمة ، كذلك لا تنقسم الصورة العقلية إلى جنس من ناحية وفصل من ناحية أخرى ؛ كل على حدة (بعد أن ثبت فساد انقسام كل على نفسه) وإلا كان نصف الصورة العقلية يحتوى نصف الجنس ونصف الفصل ، وفى هذا خلف مع ما سبق إثباته ؛ أو إذن لحل الجنس والفصل كل موضع الآخر وهو محال . فالصورة العقلية هى إذن مبادئ بسيطة قابلة لتركيب معقولات أكبر ، دون أن يكون لها أجناس أو فصول ، ودون أن تنقسم فى الكم إلى أجزاء متشابهة أوغيرمتشابهة ؛ وبالتالى فهى لاتحل فى مقدار، والقابل لهذه المعقولات المجردة فينا هوجوهر غير جسمى أومادى .

ولابن سينا هنا حجة أخرى على تجرد الجوهر العقلى من المادة — مؤداها أن تجريد الصورة العقلية من المكان والوضع والكم والأين وسائر المقولات فهو باعتبار وجودها الذهنى وتصورها العقلى لا فى وجودها الواقعى الخارجى ، ومثل هذه

الصورة العقلية المفارقة لمادتها لا يمكن لذلك أن تكون في جسم ، وإلا فلو أن هذه الصورة العقلية المجردة قد انطبقت في جسم ذي جهات وأقسام لنتج محال وخلاف لما فرضناه في البدء . وخلاصة القول أن محل المعقولات والجوهر القابل للصورة المجردة هو مثلها مجرد — ولا يمكن أن يكون جسما أو في جسم بحال . على عكس الصور المنطبقة في المادة والتي هي أشباح لأمور جزئية منقسمة لكل قسم منها نسبة بالقوة أو بالفعل لجزء من الشيء المادي أو شكله .

وإذ برهن ابن سينا بهذين الدليلين على تجرد الجوهر العقلي من المادة والجسمية انتقل إلى النتيجة المنطقية التي تلزم هذا البرهان بالضرورة ، وهي أن تعقل القوى العقلية المذكورة ليس يحدث بالآلة الجسمية . وله في ذلك حجج ثلاث : أولاها أنه لو كان تعقل هذه الصور بآلة جسدية لم تستطع أن تعقل ذاتها وتشعر أنها تعقل (كالحس مثلاً أو الخيال والوهم التي تحس أو تتخيل وتتوهم أشياء خارجة عنها — دون أن تشعر بفاعليتها هذه) — أما العقل — فانه يعقل الصور الكلية . ويعقل أنه يعقلها — مما يدل على أنه ليس بينه وبين ذاته آلة أخرى وسيطة وبالتالي أنه يعقل بذاته — وحجة أخرى هي أن الحواس وما من شأنه إدراك الصورة الحسية الجزئية يوهنها دوام العمل ، ويصيبها بالعجز والكلال (وأمثلته هنا كثيرة وواضحة) بينما القوة العقلية لا يزيدها التعقل إلا جلاء وجدة ، وصفاء وقوة ودربة ؛ ما لم يفسد عليها الخيال والحس هذه الملكة . والحجة الثالثة على أن القوة العقلية ليست جسمية أنها ليست خاضعة للضعف أو الشيخوخة شأن سائر القوى البدنية في سن معينة . بل لا تزال قوية فتية بعد هذه السن بكثير ما لم يطرأ عليها طارئ مرضي أو نحوه . فإن صح أن النفس يتعطل فعلها عند مرض البدن كما يتوهم — أو عند الشيخوخة ، فما ذلك إلا لأن النفس — كما بينا من قبل — لها فعل بالقياس إلى البدن (إدارته وسياسته) وفعل بالقياس لذاتها (التعقل والتفكير) فبأيهما اشتغلت انصرفت عن الآخر لا تجمع بين الاثنين مطلقاً ، بل نسبياً ؛ كما لا يتم فعلها إلا بالبدن فهو عالة على النفس ، وشر لا بد منه .

وآية احتياج هذه القوة العقلية إلى معونة القوى الحسية الحيوانية أنه لا يتم لها معرفة ولا تعقل إلا إذا أمدتها هذه البدنية بمادة المعرفة الخام (الخام Matiére Brute) ، فعندئذ تبدأ النفس عملها على أنحاء أربعة :

(١) التجريد والتعميم وانتزاع الكلي من الجزئيات ، واستخلاص التصور الذهني Concept .

(٢) ومن هذه التصورات الذهنية المجردة تقوم أحكام وقضايا سالبة وموجبة هي التي نسميها في المنطق التصديقات Judge—Ments — التصورات تقـــوم في الحس المشترك والتصديقات في الخيال والوهم .

(٣) ثم إن المقدمات الكلية التي تستقيم عليها الأقيسة والبراهين العقلية لا بد أن تكون من واقع الحياة والتجربة ، وأن يكون سبيلها الملاحظة والمشاهدة والتعميم الذي يؤدي إليه الاستقراء induction والحواس هي وسيلة الاستقراء الأولى .

(٤) وكذلك الخبرة والمسلمات والبديهيات التي نحصلها ونصدق بها لشيوعها وتواترها وجلاء الحق فيها ؛ أي نحصلها بالسماع كما يقول العرب، أو Par oui -ditre كما يقول الفرنسيون ؛ هذه إنما نكتسبها بالسمع أو التعلم والتلقين أو التقليد tradition وقد لا نصدق بها بعد .

وبهذا يكون ابن سينا قد أقام الدليل واضحاً قوياً على أن النفس الناطقة ليست في ذاتها جسما ، وأنها لا تحل في جسم ، لأن صورها المعقولة التي هي محلها ليست جسمية . وثبت إذن أن النفس الإنسانية جوهر روحاني مفارق Séparée .

كمال دسوقي

شهــــــرزاد !...

للشاعر زهير ميرزا

شهرزاد ! ... حلمك الفاتن أندى من عبير
ولياليك غـــرامٌ بين أحضان العصـــور
كأسـك الفنُّ . ومغناك أغاريدُ العصور
ونداماك عشـــيقٌ فاتر اللحظ الكـبير

صرعته خمرةُ السحر فناما
وارتوى منك بياناً وغراما
وتراءى تحتَ عينيك هياما

وسقاك السُّمرَ ؛ فاسقيه الهوى في كأس نور
وامنحيه اليوم من ثغرك قُبله
ثم .. وارْوي ليلةً من ألف ليله !

جوُّك العاطرُ أطيافٌ وأشـــباحٌ حيارى
ونداه هامسُ الألفاظ ترويه العـــذارى
رقّةُ شـــنتاك اليوم لحناً لا يُبارى
ورواهُ الدهرُ فاســـتلقاه خفّاق وثارا

كلما مرّتْ ببال شهرزادُ
سكرَ الخاطر واشتاق الفؤادُ
وطوى الأزمانَ برعاه السُّهادُ

فرأى العاشق والمشوق في الحب سُكارى
فارْشفي من شَفَة الأزمان نهله
ثم .. وارْوي ليلةً من ألف ليله !

ما لهذا الليـــل لا يطويه فجـــرٌ وضياء
أترى يمضي كما يمضي إليـــك الندماء !
أم تراهُ من حديث السحر أفنى حيثُ شاءوا
ليت مصباحك يا ساحرةَ الليـــل يُضاء !

كلما أدركك الصبحُ ولاحا
صمت الصدّاحُ لا يروى الصّداحا
وأفاق الليلُ من سُكرٍ فباحا

ومضى يرقبك السُّمارُ حــيرى والمساء
فإذا أقبل ... هاتي السحر كله
ثم .. وارْوي ليلةً من ألف ليله !

حدثي عن شاطئ الفتنة أو عن « سندباد »
وابعثي « الصيادَ » للبحر بأحلام غواد
واجمعي كلّ حبيبين على أفق وســـاد
واطوي أيامك يا ساحرةَ الليل ... ونادي :

هذه الفتنةُ من ذاكَ الخيال !
لك عرشان : من السحر الحلال
ومن القصة في ثوب الكمال

من ترى يملكُ أحلى منهما يا شهرزادي ؟! ...
رتّلي الآيات في أعـــذب حلّه
ثم .. وارْوي ليلةً من ألف ليله !

(دمشق) زهير ميرزا

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

موكب الحرمان:

كان لقلبه في محراب فنها صلوات ... وفي محراب فنها كم صلت قلوب، ولكني لا أعرف قلباً أطال السجود مثل قلبه! كان يقدسها وهي ترسل النغم فينصت الوجود، يوم كان في أنغامها أنين وحنين، وفي ألحانها تبريح وتسبيح... وكانت حين تغني له وتغني نفسها في غنائها، أشبه براهبة متعبدة، تندت من دموعها صفحات الكتاب المقدس! وأقام لها في معرض الفكر صوراً فاتنات، وحشدلها الخيال عدها بكل مافي إبداعه من ألوان وظلال

كانت إنسانة، وكانت فنانة، وخيل إليه يوماً أنها سمت بفنها وإنسانيتها إلى الحد الذي تشعر عنده الكلمات بأنها في حاجة إلى عون الوحي والإلهام!... وكانت قصة هواها أنشودة حلوة: مثلها لم يحظ في الفن يوماً وتر، ولم يشد يوماً في اليم ملاح، كلا، ولم يسمع شراع... وأسطورة عذبة: مثلها لم يحظ في الوهم يوماً خيال، ولم يصدح في البيد يوماً رعاة، كلا، ولم يكتب يراع! وكان معبد القديسة يملأ النفوس رهبة ورحمة وحناناً... كان الترتيل يهز جوانبه بين حين وحين، فيهتز المشاعر، وتتماس الأنفاس، وتهوّم الأرواح... وكانت أغانيها نشوة الشعور في موكب الأفراح، وفرحة القلوب في عرس الحياة!

وفي ومضة البرق لفها الليل، فقد كل شيء... معبد القديسة؟ لقد خيم في جنباته الصمت وشاع السكون! معرض فكره وصوره الفاتنات؟ لقد محت ريشة القدر كل ما فيها من ألوان وظلال!... وها هو ذا النبع قد جف، والزهر قد ذبل، والمطر قد ذهب إلى غير معاد! لقد لقيت مصرعها في حادث لا يزال يذكره الناس، وذهبت بأحلامها وأحلامه إلى هناك، إلى وادي العدم... والنيل الحبيب الذي بارك أمسياتهما لا يزال يجري، والقمر الساحر الذي رعى حبهما لا يزال يبزغ، والليل الساكن الذي كتم سرهما لا يزال يقبل كلما ولى نهار!

أما هو، فيا سوء ما فعلت به بعدها الأيام! لقد طوى القلب على أحلامه، وعاش من بعده على أطلال الذكريات... ولقد سار وحده في موكب الحرمان: يهتف للأمنية الحائرة، ويصفق للزفرة المحرقة، ويسود آخر الأمس ومل‌ء نفسه أشلاء آمال!...

وأما حياته، فيا سوء ما أصبحت: لقد أصبحت أنغاماً من وهج اللوعة، وفنوناً من عبقرية الألم، وخريفاً لا يعرف طعم الربيع إلا من أفواه الناس!

كتبت هذه الكلمة منذ عام في مجلة «الأديب» اللبنانية، ثم تلقيت عقب نشرها بضع رسائل من هنا وهناك، بعضها يدور حول كلمتين: «من هو؟» و«من هي؟»... بينما يدور بعضها الآخر حول التوكيد بأن بطلة هذه القصة القصيرة هي فقيدة الفن «أسمهان»، ولكن من هو بطل القصة؟!...

وأما اليوم أعيد نشر هذه الكلمة تعقيباً على مايكتبه الأستاذ التابعي من ذكرياته حول هذه الفنانة في «آخر ساعة»، ولأقول لمن كتبوا إلى مستفسرين أن «هي» التي أشرت إليها لم تكن إلا المطربة «أسمهان»... أما «هو»، فليس واحداً من أولئك الذين عرف الناس قصة صلاتهم بها، ولا أعتقد أن واحداً منهم يعلم شيئاً عن هذا الغرام الصامت الذي جمع بين قلبها وقلبه، وغلف قصة القلبين بغلاف من الصمت والكتمان!

وكم كنت أود أن أذيع قصتها على الناس من رسائلها إليه، ذلك الإنسان الذي لا يعرفه أحد. ولكنه من أسرة... وفي بيته زوجة وفية عزيزة عليه، وأبناء هم أحباء إلى قلبه!

إيمان عظيم:

قرأت لصديقي الأستاذ علي أدهم كلمة قيمة في «الثقافة» عن الألم والإيمان في حياة الشاعر الألماني هنريك هاينى، وقد استوقفني فيها ذلك الحوار الرائع بين هاينى الشاعر وإمانويل فخت الفيلسوف، حول حقيقة الله بين الوجود والعدم، أو بين الإثبات والإنكار... قال هاينى لفخت[1]:

— «قل لي يا أستاذ بصراحة: هل تعتقد بالحياة الأخرى؟ وهل تؤمن بأن الروح خالدة؟ وأجاب فخت في تؤدة ووقار:

— إني أعتقد بوجود عالم الأفكار غير المنظور.

— ولكنك لا تصدق بوجود إله... إله حي قيوم؟

فأجاب الأستاذ في غير تردد وقد هز رأسه: لا أصدق به!

فأرخى هاينى جفنه المشلول، وارتمى على وسادته، ولاذ بالصمت» ثم استأنف الصديقان حديثهما مرة أخرى حول وجود الله

(١) ما بين الأقواس للأستاذ علي أدهم.

وكانت دهشة الفيلسوف بالغة حين رأى الشاعر وقد تحول من نزعة الإلحاد التي عصفت بعقيدته ردحاً من الزمن ، إلى نزعة إيمان عميق تغلغلت في خلجات روحه ، تحت وطأة مرض طويل ألزمه الفراش ووحت به آلامه ! وهنا قال هاينى :

« إننى فى حاجة إلى الله ، فى الليل حينما تأوى زوجتى إلى فراشها أشعر بالوحدة ، وينفر منى النوم ، وأظل أتقلب فى الفراش وأتحول من جنب إلى جنب ، ويمشى جسمى الألم ويدب به من الرأس إلى القدم ، وفى كل لحظة أعتقد أن نهايتى قد دنت وحانت منيتى ... وفى مثل تلك اللحظات يؤنس وحشتى أن أفكر فى أن هناك فى السموات — أو فى أى مكان آخر — من أستطيع أن ألجأ إليه فى كربتى وضائقتى ، ومن أتهمه وأدينه وألقى عليه التبعة ...» ولعل هذه الكلمات الأخيرة هى وحدها التى تركت أثرها العميق فى نفسى وحسى . إن فيها دفقات هائلة من حرارة الشعور فى القلب الإنسانى ؛ الشعور الذى تنبلج أمامه أنوار الحقيقة والإيمان فى لحظات الشدة والضيق وحيرة الرجاء ، هناك حيث يتجه الضعفاء بقلوبهم إلى رحاب الله ينشدون العون ، حين يعز النصير على أرض البشر ! إنها ليست كلمات ، بل أنات .. هتكت ستار الصبر والجلد ، وتركت مكانها من حنايا الضلوع وشغاف القلب ، وخرجت إلى الناس تروى لهم قصة الألم والإيمان !

. إنه هاينى الإنسان ... هاينى الذى هتف مرة فى غمرة من غمرات عذابه : لن أنتسب بعد اليوم إلى الملحدين والجاحدين ، لقد أصبحت أومن بأن أوائل الأشياء وأواخرها هى فى الله !

مع الدكتور طه حسين :

كنت أتحدث منذ شهرين مع الدكتور طه حسين بك عن الكاتب والفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر ، وكان بدء الحديث سؤالاً منى للدكتور عما إذا كان قد التقى بسارتر فى خلال تلك الفترة التى تغيب فيها عن مصر ليقضيها فى فرنسا ، ثم تطرق الحديث بعد ذلك إلى شخصية سارتر الأدبية والفلسفية ، وإلى حقيقة المكان الذى يشغله فى الأدب الفرنسى المعاصر .

وسارتر — كما لا بد أن يعرف المتتبعون لأخباره من القراء — فيلسوف وجودى ملحد ، أصدر البابا أمراً بمنع دخول كتبه الفلسفية إلى مدينة الفاتيكان لما فيها من إنكار سافر لوجود الله ! وهو بعد ذلك أديب ارتقى سلم المجد الأدبى فى وثبة واحدة بدلا من ارتقائه فى وثبات ؛ ومن العجيب أنه إلى ما قبيل الحرب العالمية الثانية لم يكن شيئاً مذكوراً يلفت النظر ويثير الاهتمام ، ولكنه الآن يحتل مكانه فى الطليعة من كتاب فرنسا الأحياء ، ويكاد مجده الأدبى يغطى على أعلامهم جميعاً عن جدارة واستحقاق !

أما شخصيته الأدبية ، فتتمثل فى تعدد ملكاته ومواهبه — إنه كاتب تراجم قد لا يلحق به ، وكتابه الذى أخرجه عن « بودلير » يعد فى رأى الفن خير كتاب أخرج فى موضوعه ، منذ أن احتل أدب التراجم مكانه إلى جانب الفنون الأدبية الأخرى . وله فى ميدان النقد الأدبى نظرية جديدة لا أحسب أن أحداً قد سبقه إليها ؛ وهى نظرية تنادى بأن الأدب صورة القارئ لا صورة البيئة كما يقول « تين » ... وهو بعد ذلك كاتب مسرحى يغذى المسرح الفرنسى من وقت إلى آخر بإنتاجه الفريد المتميز !

فى هذه الأشياء كلها كنت أتحدث مع الدكتور طه حسين ، ولقد قال الدكتور فيما قال : إنه يخشى على مجد سارتر الأدبى بسبب ميله إلى السهولة فيما يكتب فى هذه الأيام ، وإنه لم يرض عن مسرحيته الأخيرة « الأيدى القذرة » يوم أن شاهدها تمثل فى أحد المسارح الباريسية .

وأعقب على هذه اللفتة فأتساءل : ترى لو نظرنا إلى مجد سارتر الأدبى هذه النظرة بسبب ميله اليوم إلى السهولة فيما يكتب فكيف تكون نظرتنا إلى هؤلاء الذين يكتبون اليوم فى مصر ، ولا يهمهم ملء الفراغ الروحى الذى تحسه الجماهير بقدر ما يهمهم ملء الفراغ الذى تحسه أعمدة الصحف والمجلات ؟ !... إن أخطر الخطر على الكاتب أن يظن أنه قد بلغ أوج الشهرة وقمة المجد ، ولا ضير عليه من الوقوف على السطوح دون التغلغل إلى الأعماق ، وهذا هو ما يلقاه المتعطشون إلى المعرفة فى هذه الأيام حين يقرأون لبعض كبار الكتاب فلا يخرجون بشىء !

إن المسألة عند سارتر ضرب من الميل إلى السهولة ، ولكنها عندنا ضرب من الاستهانة بالقيم والأذواق !

حديث الدكتور طه حسين بك فى (بيروت المساء) :

فى مكان آخر من « الرسالة » تقرأ الكلمة التى بعث بها إليها الدكتور طه حسين بك ، والتى ينفى فيها ذلك الحديث الذى نسبته إليه جريدة « بيروت المساء » اللبنانية حول الشاعرين : على محمود طه ، وعمر أبو ريشة ؛ ويسرنى كما يسر الذين ينشدون حقائق الأمور أن يبادر الدكتور الفاضل بتكذيب ما نشر منسوباً إليه ، وأن يكون رأيه فى الشاعر المصرى منذ أيام هو رأيه فيه منذ سنين ، دون أن يغض من قيمة هذا الرأى أخطاء نحوية أو

لغوية يقع فيها الشاعر، وما أكثر ما يخطئ الشعراء والكتاب المعاصرون في العربية كما يقول الدكتور طه حسين!

أما حديث الدكتور عن الشاعر علي طه في الجزء الثالث من «حديث الأربعاء»، فقد اطلعت عليه منذ أمد بعيد، وما زلت أذكر كل ناحية من نواحيه في مجال الإشادة بحسنات الشاعر والإشارة إلى سيئاته، والحق أن ما كتبه الدكتور في «حديث الأربعاء» هو الذي أثار دهشتي عند ما وقفت على حديثه الذي نسبته إليه الصحيفة اللبنانية، لأن الفارق بين رأيه اليوم في الشاعر ورأيه بالأمس فارق بعيد!

وإذا كان أديبنا الكبير قد بادر فذكر في كلمته أن شيئاً مما نسب إليه لم يحدث أن أفضى به إلى «بيروت المساء»، فإنني أبادر بتوجيه الشكر إليه خالصاً من الأعماق، وأشكره مرة أخرى على هذه التحية الكريمة التي تفضل فخصني بها في ثنايا كلمته؛ أما دفاعي عن الشاعر علي طه، فهو دفاع عما أعتقد أنه الحق... وليثق الدكتور طه أن له في نفسي مكاناً يستحقه رجل له في حساب الشعور أكرم الذكريات...

عبقرية محمد الإنسانية:

تحت هذا العنوان كتبت في عدد «الرسالة الهجري» مقالا خالفت فيه الأستاذ العقاد في طبيعة نظرته إلى شخصية محمد الإنسانية؛ وأعتقد أنني أوضحت جوهر الخلاف إيضاحاً لا يحتاج مني إلى أكثر مما أوردت من تفصيل، كما لا يحتاج من غيري إلى تعقيب... ولكن الأستاذ محمد محمود عماد يعقب على ما كتبت في عدد «الرسالة» الماضي بكلمة عجيبة تبعد كل البعد عن الأفق الذي أدرت فيه حديثي عن محمد الإنسان!

إن جوهر الخلاف بيني وبين الأستاذ العقاد هو أنه يزن إنسانية محمد بميزان العظمة النفسية، بينما أزنها أنا بميزان اللحظة النادرة من لحظات «الضعف الإنساني»... فموقف الرسول من عبد الله بن أبي، أو من هبار بن الأسود، هذا الموقف الذي يمر مثيله على الأقران والنظراء، ينظر إليه العقاد من زاوية تنطبق — كما قلت — على الرجل العظيم، لا على الإنسان العظيم، لأن محمداً في أمثال هذه المواقف — كما يرى العقاد — أكبر من أن يلقى الأمور لقاء الأنداد، وأعذر من أن يلقاها لقاء القضاة!

هل كان الرسول حين شمل عبد الله بن أبي بالصفح والرحمة والمغفرة، ينظر إليه على أنه أهون من أن يعامله معاملة الند للند، أو معاملة النظير للنظير؟ إن هذا المنظار الذي ينظر العقاد من خلاله إلى معدن النفوس وجوهر القلوب، يجعل من الرحمة المحمدية ضرباً من التعاظم والكبرياء، وهذا ما ننزه عنه كمال الإنسانية في هذا الإنسان العظيم!

أما تعليقي على قول الأستاذ العقاد بأن النبي لا يكون رجلاً عظيماً وكفى، بل لا بد أن يكون إنساناً عظيماً، فلم أقصد من ورائه إلى أن العقاد قد نفى الإنسانية عن محمد قبل أن يكون نبياً كما فهم الأستاذ عماد... وإنما قصدت إلى أن اشتراط الإنسانية لنبوة محمد أمر لا داعي لإثباته، لأن محمداً كان إنساناً بأدق معاني الكلمة قبل أن يبعث رسولاً إلى الناس! ولم يحدث أنني قصرت إنسانية محمد على الرحمة كما يغالط الأستاذ عماد، ولكنني قصرتها على لحظات «الضعف الإنساني»... وتحت هذه اللحظات يمكن أن تندرج الرحمة وما يماثلها من شتى الفضائل والصفات.

وإذن، فلا مبرر لقوله بأن حديث العقاد عن إنسانية محمد كان أشمل وأعم!

تحية الأديب للرسالة:

كتبت مجلة «الأديب» اللبنانية في عددها الأخير ما يلي:

«لاحظنا كما لاحظ معنا كثيرون — والملاحظة تؤلم — غيبة مجلة «الرسالة» عن معرض الكتاب في مدينة اليونسكو في الوقت الذي رأينا فيه عشرات المجلات التي لا ترتفع إلى مكانة «الرسالة» فكراً وقدراً تحتل صدر الجناح المصري، عرضة لأنظار مفكري العالم!... حرام أن يغمط حق مجلة قادت ولا تزال تقود الرأي والفكر في العالم العربي ست عشرة سنة؛ بينما يفسح لغيرها ممن لا يعرف لها في التوجيه أو الأدب أو العلم أي سبيل يذكر! نحن نفهم أن يمنع عرض مجلة «الأديب» في الجناح اللبناني — بينما تعرض بعض الوريقات الصفراء — لأن الأديب كانت وما تزال تقاوم في هذا البلد لرسالتها التوجيهية السامية، وقد عرف هذا البلد «السعيد» بأنه مقبرة لأبنائه المخلصين النابهين... ولكن أن يهمل عرض «الرسالة» في الجناح المصري، فهذا موضع دهشتنا!»

هذه اللفتة الكريمة من الزميلة اللبنانية، وهذه التحية الصادقة، تستحقان من أسرة «الرسالة» كل ثناء وتقدير. أما التعقيب على هذا الأمر الذي يثير الدهشة والعجب، فسنفرد له مكاناً خاصاً في العدد المقبل إن شاء الله؟

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

عد الأمواج في المجمع اللغوي :

استمع الأعضاء في جلسة من جلسات مؤتمر المجمع اللغوي إلى تقرير للجنة اللهجات بالمجمع يتضمن الخطة التي وضعتها لاستقراء الألفاظ والتراكيب الجارية على ألسنة أهل الأقطار العربية وتدوينها في معاجم وأطالس لغوية ، وفي التقرير تفصيل لهذه الخطة لا تنتهي فيه إلى غاية مرجوة من هذه الدراسة .

استمع الأعضاء إلى ذلك التقرير ، ثم دارت بينهم المناقشة في موضوعه ، فاعترض بعضهم على اهتمام المجمع بهذه الدراسة ، ومن هؤلاء المعترضين الجارم والعوامري والشبيبي والمغربي وعبد الوهاب عزام ، وتلتقي آراؤهم في أنه أولى بالمجمع أن يوجه عنايته إلى موضوعات أهم من هذا الموضوع . وساق الدكتور عبد الوهاب عزام بك حكاية ظريفة ، قال : خطر لي عند ما سمعت هذا البحث مثل سمعته في مدينة « مارسين » بتركيا ، كان رجل جالساً على شاطئ البحر ذات يوم فمر به صاحب له فسأله : متى أتيت إلى هنا ؟ قال الأول : أنا هنا منذ الصباح . فسأله صاحبه : وما ذا تفعل؟ فأجاب : أعد الموج . عند ذلك سأله صاحبه : كم عددت ؟ فما زاد على أن نظر إلى موجة وقال : هذه واحدة . فعدّ الأمواج قد يكون ذا متعة وفائدة ولكنه يشغل عن أمور أهم منه . ولئن كانت دراسة اللهجات أكثر فائدة من عد الأمواج فإن بينهما مع ذلك بعض الشبه .

ويرى الشيخ عبد القادر المغربي أن دراسة اللهجات العامية تنافى عمل المجمع ، فعمل المجمع تثبيت اللغة الفصيحة ، فإن قام بتلك الدراسة فإنه يعطى العامية بذلك اعتباراً في أعين الناس يرمزون به عما تعلموه من الفصيح . وقال : قد يكون بحث اللهجات مفيداً لأولئك الغربيين المستعمرين الذين ينزلون بالبلاد العربية المختلفة ذات اللهجات المختلفة ليشتغلوا بالتجارة أو ليسموا بالفتنة ، أما اشتغالنا نحن بهذا العمل فحرام حرام .

ودافع عن الموضوع فريق آخر ، منهم ماسينيون وطه حسين وأحمد أمين ومنصور فهمي ، وقد رأوا جميعاً أن العلم يطلب لذاته ولا يسأل عن فائدته . وتولى الدكتور طه حسين الرد على الدكتور عزام والشيخ المغربي فقال : ليس للعالم عمل إلا أن يعد الموج ، فعد الأمواج لا يخيف ، أما ما يخشاه زميلنا الشيخ المغربي من تثبيت العامية فخشية مبالغ فيها .

وجنح بعض الأعضاء إلى بيان فوائد دراسة اللهجات ، كالأستاذ فريد أبو حديد الذي بين فائدتها في درس التاريخ ، ومما قاله أن اللغة وثيقة الاتصال بالقوم الذين يتكلمونها ، فدراسة اللهجات بما تكشفه من اتصال بينها تدل على صلات كانت بين الأقوام الذين يتكلمونها .

ثم انتهى المؤتمر إلى الموافقة بالأغلبية على الخطة التي تقدمت بها لجنة اللهجات .

ويلاحظ أن مؤيدى دراسة اللهجات العامية لم يجيبوا عن سؤال المعارضين : أليس لدى المجمع مسائل أهم من هذه الدراسة وأولى بعنايته وجهده ؟ فقد ذهبوا إلى تمجيد البحث العلمي واستنكروا السؤال عن الفائدة ، وحتى من بين منهم الفائدة لم يذكر أهميتها بالنسبة لبقية أغراض المجمع .

وعبد الله الفقير إليه ، كاتب هذه السطور ، يريد أن يحمل نفسه لا على التسليم بقدسية البحث العلمي فقط ، بل يفرض أن لدراسة اللهجات العامية فوائد لا تحصى ومنافع لا تستقصى ، كما يعبر مؤلف « ثمار الإنشاء » ويريد أيضاً أن يحني رأسه ولو قليلاً أمام عظمة علماء اللغات في فرنسا وفي غير فرنسا ، ولكنه يريد مع ذلك أن يعرف هل مجمع فؤاد الأول — للغة العربية أو للبحوث العلمية ؟ أليست مهمته الأولى المحافظة على سلامة اللغة العربية وتلبية حاجة الناس إلى التعبير الفصيح بمواجهة المستحدث وتصحيح الخطأ وغير ذلك . فهل فرغ من هذه المهمة ، بل أقول هل بلغ شيئاً ذا بال من النجاح فيها حتى يعد الأمواج ويسعى وراء الحقيقة المطلقة في عالم البحث غير ناظر إلى الأهم والمهم والفائدة ؟

إن الناس يرمون المجمع بالتباطؤ والتثاقل في إنجاز الأعمال ذات المنافع القريبة ، فالمجمع حين يوغل فيما وراء هذه المنافع يضيف إلى ما يرى به العقم وعدم الإنتاج المفيد .

القلم والقنبلة :

دافع الأستاذ عبد العزيز الشوربجي المحامي عن أحد المتهمين في قضية القنابل ، فأشار إلى المقالات السياسية التي كان يكتبها المتهم ، وتساءل : كيف يتصور أن تأتي هذه اليد القلم وتمسك بدلا منه المدس والقنبلة ، واليد التي تكتب دفاعاً عن مصر تعود فتنكب مصر ، واليد التي أسالت المداد من عصارة الذهن وفي وضح النهار تعود فتسفك الدماء في الظلام ؟ إلى أن قال : هل رأيتم أن كاتبا أو صحفيا انقلب مجرماً فوضويا ؟ وحقاً لم نر أحـــداً من المشتغلين بالكتابة أو الصحافة قد ارتكب هذا النوع من جرائم القتل وسفك الدماء أو اشـــترك في تدبيرها . ولكني أنظر إلى الموضوع من جانب غير الجانب الخطابي الذي نظر منه الأستاذ الشوربجي ، فليس كل من كتب صاحب عقيدة ، وكثيراً ما تشترى الأقلام وتؤجر الصحف .

صاحب القلم لا يحمل القنبلة ، وما حاجته إليها وقد أفرغ طاقته بسنان القلم ، وسكب جهده على الورق ؟ إنه يعبر عن ثورته ولا يختزنها ، فليس به بخار مضغوط تفجره القنبلة أو يطلقه المدس . يصنع حماسه كلمات من نار ، فلا يبقى منه ما يصلح لصنع الرصاص أو (الديناميت) ، يصول ويجول ولكنه لا يعرف ميداناً غير القرطاس .

وإن صاحب القلم يعنى نفســه بالكتابة والتعبير ، ولكنه يجد في تلبه متنفساً يخفف عن أعصابه ، وما أجدر الكتابة المرة أن تحسب فيما يشـفى من الأمراض العصبية أو يعصم منها .

ومن هنا ندرك قيمة حرية التعبير عن الرأي في صيانة الأمن العام ، وإنك لتجد أكثر الأمم استقراراً وخلواً من القلاقل ، هي التي نالت حظاً موفوراً من حرية الفكر لأن القوى تتجه إلى اصطراع الأفكار ولا تتعرض إلى التخريب والتدمير .

أمر معكوس :

لمصر في فرنسا ملحق ثقافي يفهم الإنسان من وضعه الرسمي

كشكول الأسبوع

* وقع اختيار وزارة المعارف على الأستاذ محمود الخفيف ليكون مديراً لإدارة التعاون الثقافي الشرقي بوزارة المعارف .

ويعد هذا الاختيار الموفق اتجاهاً طيباً نحو الانتفاع بالكفايات الأدبية في المناصب الثقافية بالوزارة .

* تلقت إدارة التسجيل الثقافي بوزارة المعارف ، كتاباً محولا إليها ، من اتحاد مترجمي المؤلفات الأدبية بباريس ، يطلب فيه المعاونة بتعيين مراسل له في مصر أو هيئة أدبية يتبادل معها جميع ما يتعلق بترجمة المؤلفات الأدبية من الفرنسية وإليها ، لتقديمه إلى الناشرين . وتعد الإدارة منشوراً في هذا الموضوع ليوزع على دور النشر والهيئات الثقافية في مصر .

* اشترطت مجلة المصور في مسابقتها القصصية ألا تزيد القصة على ٦٠٠ كلمة . وقد كتب أحد الأدباء قصة للمسابقة فجاءت في ٦٠٠ كلمة وكلمة وهو لا يريد أن يحذف أي كلمة من صميم القصة ، فأشار عليه بعضهم أن يحذف العنوان .. لأنه لم يشترط أن يكون للقصة عنوان !.

* جاء في مقال الأستاذ على أمين بالعدد الأخير من مجلة « آخر ساعة » قوله : « فنزت قاضي ! » فهو يحسب أن « قاضي » كلمة واحدة فتضاف إلى ياء المتكلم .. والأستاذ كاتب ظريف ، وليته يحسن علاقته بسيبويه ..

* دأبت إحدى الجمعيات على الإعلان في الصحف عن اجتماعات أسبوعية لقراءات أدبية من فلان وفلان وفلان .. وقد غضب أحد أعضاء الجمعية لأمر من الأمور ، فقرر أن يكتب إلى الصحف أنه سيجلس يوم كذا في منزله ويقرأ في كتاب من كتب الأدب ... وبذلك يستغنى عن الجمعية !.

* جاء فيما كتبته مجلة « الكتاب » عن التأليف في سنة ١٩٤٨ أن الإنتاج الفكري نقص في هذه السنة إلى ٣٩٠ كتاباً ، وكان في سنة ١٩٤٧ قد بلغ ٤٨٠ كتاباً .

والطبيعي أن مهمته تنظيم العلاقات الثقافية بين البلدين على أن يكون الهدف رعاية جانب بلاده من الوجوه المختلفة ، فيدعو إلى ثقافتها ويبرزها ويبين آثارها في الحضارات والثقافات بمختلف الوسائل .

ولكن ملحقنا الثقافي في باريس يعكس الأمر ، فقد أذاع من مذياع باريس يوم الخميس الماضي حديثاً عن العلاقات الثقافية بين مصر وفرنسا في عهد محمد على الكبير أشاد فيه بفضل فرنسا مؤيداً بما توصلت إليه همته ونشاطه الفائقان من الوثائق والمستندات .

أثر فرنسا في النهضة الثقافية بمصر معروف لم ينكره أحد ، وله مكانه في التاريخ ، ولكن ما لهذا نبعث الملحقين الثقافيين ، ولو أن هذا من أغراضنا لكفانا مؤونته الفرنسيون أنفسهم .

ثم هل الظروف الحاضرة ملائمة لمثل ذلك ؟

نقد مسرحي :

كنت ناوياً في أول الموسم المسرحي الحالي أن أتابع الروايات التي تمثلها الفرقة المصرية فأتناولها بالنقد واحدة واحدة ، وبدأت فعلا بالمسرحية الأولى « سر الحاكم بأمر الله » وكتبت عن غيرها ، ولكني عند ما وجدت مستوى ما تعرضه الفرقة هابطاً فتر حماسي ، وخمدت رغبتي في المعاونة بالنقد على إحياء هذا الفن الذي تلتق فيه عدة فنون .

وما كنت أدرى ، ولم يحجبني المخوخ ، أني سأضطر إلى شرابه ... فما كتب عن « أوبريت الحار » .

هي « تمثيلية » عرضتها فرقة شكوكو على مسرح حديقة الأزبكية ، ونقلتها الإذاعة في سهرة ليلة الجمعة الماضية ، وهي تتلخص في أن حاراً (يمثله أحد أفراد الفرقة) يظهر على المسرح وعلى إحدى أذنيه عداد وعلى الأخرى (نفير) وصاحبه (شكوكو) يسميه (تكس) ويأتى (واحد خواجه) ويركب (التكس) ويغني له شكوكو : « يا حوحو ... حا . يا ميمى ... شي» ، ثم ينزل الستار .

وهي تعتبر مسرحية غنائية من نوع (الأوبريت) ولا بد أن شكوكو يقصد بها إحياء هذا الفن مع شيء من الإبداع والتجديد يبدو في خلوها من وجهة وطنية أو اجتماعية ، مما كان يتجه إليه أهل هذا الفن من الجيل القديم ... ومما يذكر أن هذه (الأوبريت) يدور فيها صراع عنيف بين (الخواجة) والحار الذي يزعم صاحبه أنه (تكس) وهو كسائر ما في المسرحيات الحالية صراع خالد ... وهي لذلك « مؤثرة ! » وقد أخرجها شكوكو ، واشترك أيضاً في التمثيل ، وألفها مؤلف نسيت اسمه .

بق أن أذكر المهم ، وهو الذي اضطرني إلى شراب المخوخ ذلك أن مجلس الوزراء قرر من نحو شهر انتقال مسرح حديقة الأزبكية من اختصاص وزارة الأشغال إلى وزارة الشؤون الاجتماعية لاستخدامه في « ترقية التمثيل » وذلك أيضاً أن الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية جادة في نقل روائع الفنون إلى مستمعيها لا في مصر فقط ، بل إلى كل من ينطق بالضاد في أنحاء المعمورة ، كي يقف الجميع على ما يعرض في مسارح القاهرة من تمثيليات رائعة خالدة ...

أوليس يدعو كل ذلك إلى أن تنقد تمثيلية الحار نقداً مسرحياً يلائم مكانها من « ترقية التمثيل » ؟!

تعاذ الحروف :

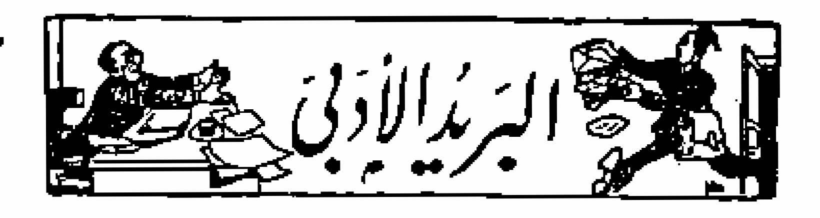
رداً على الأستاذ أحمد الظاهر من أعضاء محكمة الاستئناف بعمان — أقول :

« فيروزاباذ » كلة فارسية وهي علم على البلد المعروف ، وقد نطقها العرب بالدال وبالذال ، كبغداد وبغداذ . ومن سنن العرب إبدال الحروف في لغتهم ، وإبدال الذال دالا إذا جاءت متطرفة في الكلمات الفارسية . وقد وردت كلة « الفيروزابادى » بالدال المهملة في شرح ديباجة القاموس وتاج العروس وفي معجم فرنسيس الإنجليزي الفارسي المطبوع في سنة ١٨٥٢ م .

وبعد : فالخلاف بين السيد الظاهر وبيني ليس كبيراً كالخلاف بين القاهرة وعمان . . فليس بيننا والحمد لله « عقبة » وإنما هو خلاف على « نقطة » .

وللأستاذ تحيتي وشكرى على ما في كلته من روح طيب وأدب جم .

عباس خضر



الدكتور طه حسين بك يصحح ما نشر في (بيروت المساء):

أخي الزيات :

نقلت (الرسالة) في عددها الأخير حديثاً نشر عني في إحدى الصحف البيروتية ونسب إلى فيه أني أغض من شأن صديق الأستاذ علي محمود طه وأبايع صديق الأستاذ عمر أبو ريشه ، فأحب أن أؤكد أني لم أبايع هذا ولم أغض من شأن ذاك ، وما كان لي أن أفعل ؛ فأنا أحب الشاعرين جميعاً وأحفظ لهما مودة ثابتة . وإذا لم تخن الذاكرة فقد كتبت فصلا خاصاً منذ وقت طويل أثنيت فيه ، بالحق ، على شعر الأستاذ علي محمود طه . ولا يغير من رأيي فيه أنه يخطيء في العربية هنا وهناك . وما أكثر ما يخطيء الشعراء والكتاب المعاصرون في العربية !

وأظنك توافقني على أن صحة اللغة شرط أساسي من شروط الشعر الجيد .

أما الأستاذ عمر أبو ريشه فقد قلت غير مرة وما زلت أقول إني أكبر شعره وأعجب به ؛ وليس هنا موضع التفصيل لأسباب هذا الإعجاب ، ولكن الإعجاب بشاعر شيء ومبايعته شيء آخر. وما أعرف أني بايعت شاعراً أو كاتباً قط ؛ وما أظن أني سأبايع شاعراً أو كاتباً قط ؛ فهذا نوع من السخف لم أشارك ولا أريد أن أشارك فيه .

وقد كنت دائماً شديد الحرص على هذه الحرية التي تبيح للناقد أن يقول للأديب اخطأت إن أخطأ وأصبت إن أصاب . وقد جاوزت السن التي ينزل الناس فيها عن حريتهم .

فليطمئن الكاتب الأديب الذي دافع مشكوراً عن صديق الأستاذ علي محمود طه فقد دافع عنه في غير حاجة إلى الدفاع . وليقرأ إن شاء حديثاً لي عن الأستاذ علي محمود طه صورت فيه رأيي في جيد الشعر ورديئه وفي صوابه وخطأه ، وهذا الفصل منشور في الجزء الثالث من حديث الأربعاء كتب منذ خمسة عشر عاماً ولم يتغير رأيي في الشاعر الصديق إلى الآن .

ولك وللكاتب الأديب تحية صادقة وشكري خالصاً .

(الزمالك) طه حسين

هل الحج يغسل الذنوب جميعاً ؟

... قرأت مقالكم « حج غير مبرور » فأوافقك في جانب منه كل الموافقة ويوافقك معي كل من في قلبه قدر من الإيمان — وأخالفك في جانب آخر كل المخالفة ويخالفك معي كثير .

فأما ما أوافقكم عليه ، فهو إنكار ما يفعله ذلك الفاسق الفاجر وتقبيح ما يأتيه ، وتنفير المسلمين من أمثاله ، وتنبيه أولى الأمر على الضرب على يده .

وأما ما أخالفكم عليه ، فتجاهلكم لحديث شاع على ألسنة المسلمين في شتى العصور والأمصار ، واعتز به كل مؤمن وسكن إليه قلبه ، ورونه كتب الحديث الكبيرة وغير الكبيرة . ألا وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . رواه البخاري ومسلم والدارقطني وغيرهم كثير مع اختلاف يسير في اللفظ واتفاق في المعنى .

ويرى ابن حجر أن المغفرة بسبب الحج عامة لكل الذنوب . وخصصها الطبري في تفسيره بالمظالم التي تاب منها صاحبها وعجز عن وفائها . ورأى الترمذي قصرها على حقوق الله خاصة .

ولو كنتم فضلتم رأياً على رأي مما ذكرنا ، ما رأينا بأساً قط ؛ ولكنكم يا مولاي قلتم : « اغتر على ما يظهر بقول المتزيدين من جملة الشيوخ : إن الحج وحده يمحص الذنوب ويمحو الخطايا ... فيعود منها وهو نقي الصحيفة كيوم ولدته أمه » فمن هم الشيوخ الذين تقصد ؟ آلأزهريون أم ابن حجر ومن ذهب مذهبه ؟ طبعاً الأزهريون — وما الذي تزيدوه ؟ لم يتزيدوا شيئاً اللهم إلا إيثار وجهة على وجهة ، وزيادة الرجاء في عفو الله .

وأخشى ما أخشاه أن يتجرأ من لا صلة له بالدين على إنكار ما لا يوافق مزاجه من الأحاديث وآراء العلماء استناداً على ما فهم أو ما دلت عليه عبارتكم من إنكار حديث سلم به

المسلمون ولهجوا به فى مشارق الأرض ومغاربها .

ولكم فى الختام أطيب التحيات .

محيي الدين حمورة

المدرس برأس التين الثانوية

(الرسالة) : يا سيدى ، إن الشيخ الذى قال ذلك لم يورد الحديث ولم يشر إليه حتى تقول إنه أنكره أو شكك فيه ، إنما أنكر تزيد القائلين بأن الحج (وحده) يمحص الذنوب ويمحو الخطايا . . وبين أثر هذا التعميم فى تأبيت الجرم وتهوين الجريمة . والتزيد ملحوظ فى تفسير المتساهلين المبالغين من المجبرين الذين قالوا إن المغفرة بسبب الحج عامة لكل الذنوب من غير قيد ولا شرط ، ففتحوا الباب لكل عاص وسهلوا الحجاب لكل مجرم . أما الحديث بنصه فى البخارى ومسلم ، وتفسيره للطبرى أو الترمذى ، فلا تعقيب عليه ولا جدال فيه .

وفاة السيدة زينب :

قرأت فى عدد « الرسالة ٨١٢ » كلمة الأستاذ حسن ابراهيم شتقل عن سبب وفاة السيدة زينب فعن لى أن أنقل كلمات موجزات من كتب الثقات لإزالة الأشكال :

١ — خرجت زينب — صلوات الله على أبيها وعليها — مع ابن كنانة من مكة ، فخرجوا فى أثرها ، فأدركها هبار بن الأسود فجعل يطعن بعيرها برمحه حتى صرعها ، فألقت ما فى بطنها وأهريقت دماً .

٢ — ماتت زينب فى سنة ثمان من الهجرة ، وكان سبب وفاتها سقوطها من بعيرها لما طعنه هبار ، سقطت على صخرة فأهريقت دماً ، ولم تزل مريضة بذلك حتى ماتت .

٣ — خرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طوى ، وكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود فروعها وهى فى هودجها وكانت حاملا فيما يزعمون ، فلما وقعت ألقت ما فى بطنها ، فبرك حموها ونثر كنانته وقال : والله لا يدنومنى رجل إلا إذا وضعت فيه سهماً فتكركر الناس منه ... الخ

المصادر : ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى للمحب الطبرى ص ١٥٦ من طبعة القاهرة ، حيث ترجم لها فى خمس صفحات .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمى ج ٩ ص ٢١٦ من طبعة القاهرة ، حيث بسط ترجمتها فى خمس صفحات كذلك .

عبد الله معروف

حول قاعدة :

قال الأستاذ فاروق أحمد سلام بمعهد اسكندرية الدينى فى معرض رده على من قال إن تجرد المضارع الواقع فى خبر كاد من أن قياس مطرد ، أن الحديث الشريف يتفق مع القرآن فى أن القرآن لا يأتى باللغات الشاذة وإلا لما كان معجزاً فكذلك الحديث لا يأتى باللغات الشاذة قال تعالى وما ينطق عن الهوى وقول الشاعر : كادت النفس أن تفيض عليه — والشعر العربى إذا تعددت فيه الأمثلة فلا يكون ذلك ضرورة ولا شاذا وإنما هو قاعدة مسلم بها .

وأنا أقول : حقاً إن الحديث لا يأتى بالشاذ وهذا إذا تأكد صدوره من فى المعصوم بلفظه فمن الجائز أن يكون مرويا بالمعنى؛ وفى هذا نقل الأمير فى حاشيته على المغنى نقلا عن السيوطى قال أن التحقيق أن الأحاديث لا يحتج بها فى العربية لدخول المولدين فى رواتها بل والأعجام ، وعدم الثقة بأن هذا اللفظ النبوى لجواز الرواية بالمعنى . وشنع ملا على قارى بأن الأصل أن الرواى لم يغير اللفظ وحمله على الإصلاح مقدم . وقد استشهدوا بكلام العرب مع أن رواته مولدون ؟ ولكن يقال أن الغرض فى الحديث المعنى ، ولذا صححوا جواز روايته بالمعنى؛ وأما كلام العرب فالمقصود الأهم فيه اللفظ لإثبات اللغة فلا يبعد على هذا تساهلهم فى الحديث بما لا يتساهل فى مثله

فعند التحقيق العلمى ترى تعليله واهيا من الوجهة العلمية والاستشهاد بالآية فى غير موضعها ، فإنه يستدل بها على كمال صدق الرسول عليه السلام فيما يبلغ عن ربه فإذا نطق فإنما ينطق عن إخلاص وحق . ومما لاجدال فيه أنه إذا صح كلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حجة بلا نزاع ، فهو سيد الفصحاء وإمام البلغاء . وحجته بألفاظ القرآن قطعية ، لأن النص مقطوع به فتنظيره بالحديث غير وجيه فإنه غير مقطوع به فرد الاستشهاد بالحديث لما طرأ عليه من روايته بالمعنى وعدم الجزم بوروده لا التشكك فى حجية كلام المعصوم . والعبارة التى كتبها فى مجلة الرسالة هى بنصها فى ابن عقيل على ألفية ابن مالك ولا يغيب من الأذهان



عالم الذرة

أو الطاقة الذرية والقنبلة الذرية

تأليف الأستاذ العالم نقولا الحداد

ما يستطيع إنسان أن يجهل أن الأستاذ نقولا الحداد عالم أصاب من العلم نصيباً كبيراً، وأديب ضرب في الأدب بسهم وافر، وهو بين هذا وذاك في نشاط مستمر ودأب لا يفتر، يخرج على الناس — دائماً — بقصة مستملحة أو بحث طريف، وهو سبّاق إلى الجلّى، فهو أول من نشر باللغة العربية كتاباً مسهباً في نظرية النسبية لأينشتين، وهو من أوائل من نشروا بحوثاً مستفيضة عن الطاقة الذرية. وكتاب «عالم الذرة» من الكتب الجليلة الفريدة في نوعها، أحاط بتاريخ الذرة منذ أن كانت خيالاً في أذهان العلماء، لا تسمو إليها التجارب العملية، ولا ترق إلى كنهها العقيدة الراسخة، إلا تكهنات فرضية، أو معادلات رياضية، إلى أن أصبحت شراً مستطيراً تعصف بالزرع والضرع والناس في طرفة عين.

ولا يسعني — بعد إذ استوعبت كتاب الأستاذ نقولا كله — إلا أن أهمس في أذنه فأقول: يا سيدي، قد يعجز العالم من أن يكون معلماً، وذلك حين لا يستطيع أن ينزل إلى مستوى تلميذه، أو أن يرق بتلميذه إلى مستواه هو. وأنت في كتابك أردت أن تكون معلماً ... ولكن ...

ولقد كان يخيل إلى وأنا أهم أن أقرأ الكتاب أنني سأجده كتاباً وسطاً على نمط ما كتبه «كيلاواى» في الذرة، أو ما كتبه غيره من علماء الغرب. ولكن كتاب «عالم الذرة» كان بحثاً عالياً عرض لنظريات العلماء الذريين منذر رذرفورد وموزلى عرضاً علمياً مختصراً، ثم تحدث عن ترتيب العناصر الدورى لمنديليف دون أن يوطئ لهذا الحديث بكلمات تكون بمثابة المدخل.

أن النحويين واللغويين لا يعول عليهم في روايتهم للحديث فكم من حديث استشهدوا به وهو غير صحيح وإذا تمسك به طالبناه بتصحيح الرواية، فما قاله الرسالة صحيح لا غبار عليه.

علي الطوبجي
من علماء أسيوط

القصة العربية الحديثة في القرنين الأخيرين:

«يعد الأستاذ محمد نجم، أستاذ الأدب العربي في الجامعة الأميركية ببيروت دراسة وافية عن القصة في الأدب العربي الحديث، وهو يرجو الأدباء الذين عالجوا كتابة هذا الفن من الأدب أن يكتبوا إليه نبذاً مفصلة عن حياتهم وثقافتهم وإنتاجهم الأدبي مع ذكر التواريخ الدقيقة إن أمكن. كما يرجو هؤلاء الأدباء أن يرسلوا إليه نسخاً من كتبهم. وهو مستعد لشراء الكتب بالأثمان التي يحددها أصحابها، وعنوان المراسلة هو ص. ب ٢٢٠٨ القاهرة».

(١) مولد ابن عربشاه:

في ص ١٣٢١ من عدد (الرسالة) ٨٠٣ «ولد أحمد بن عربشاه بدمشق عام ٧٩١». والذي في (شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ج ٧ ص ٢٨٣) أن مولده سنة ٧٩٠ وفي الصفحة نفسها «ودفن بالخانقاه الصالحية» والصواب «الخانقاه الصلاحية» على ما في ترجمته في (تاريخ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) ج ٢ ص ١٢٩.

(٢) قبرس:

في ص ١٢٧٢ من عدد (الرسالة) ٨٠١ (قبرص) بالصاد والصواب (قبرس) بالسين. قال المؤرخ الثبت عز الدين بن الأثير في كتابه (اللباب في الأنساب) المطبوع بالقاهرة، في ص ٢٤٠ من الجزء الثاني: قبرس بضم القاف وسكون الباء وضم الراء وفي آخرها سين، وهي جزيرة في بحر الروم"

محمد أسامر

وإن القارئ ليحس اضطراباً في الصفحات الأولى من الكتاب وكان الأجدر بالأبواب الثلاثة الأولى أن تكون على النظام الآتي :

١ — العناصر. ٢ — الجزئ وتركيبه في العناصر والمركبات .

٣ — الذرة وعلاقتها بالجزئ .

٤ — تركيب الذرة من نوعي الشحنات .

٥ — الألكترون والبروتون . ٦ — الأفلاك الذرية .

ولن يجد المرء صعوبة في أن يوفى المواضيع السابقة حقها من الشرح والإيضاح في أسلوب رقيق سهل ، فتكون أقرب مأخذاً وأسرع إلى الفهم ، كما فعل المؤلف حين أراد أن يوضح العلاقة بين مناطق الألكترونات في الذرة ، وبين الخواص الكيميائية الدورية التي نبهت منديليف إلى ترتيب العناصر في جدوله .

ويتمسك المؤلف برأي أينشتين في أن الطاقة والمادة شيء واحد ، وهو بحث علمي رياضي صعب يجب أن نتفله في كتاب عام أنشئ ليوضح فكرة جديدة في سهولة ويسر .

وفي ص ٦٨ ينصح المؤلف القارئ فيقول : « ويلاحظ القارئ أن في سياق الحديث بعض النقط الفنية عويصة قد يتعب ذهنه في إنعام النظر فيها . إذ لا يمكن التوسع في تبسيطها لأنه يستلزم مضاعفة صفحات الكتاب ، والكتاب مجال محدود لا يسمح بذلك التوسع ، فللقارئ أن يتجاوز هذه النقط إذا لم يتأ التريث للفهم » . وكان في قدرة المؤلف أن يسد النقص الذي يرى هو إليه لو أنه أغفل كثيراً من المواد الجافة المعروضة ليحل محلها الشرح الوافي المبسط للنقط الهامة .

وفي الكتاب هنات يسيرة أعرضها في ما يأتي :

١ — خرج المؤلف عن المألوف في ترجمة بعض المصطلحات العلمية . ففي صفحة ٣٩ Magnetic Feild بالجو المغناطيسي الجاذب والصحيح المجال المغناطيسي . وترجم Electric Field بالجو الكهربائي والصحيح المجال الكهربائي . وفي صفحة ٣٤ ترجم Centrifugal force بالقوة الدافعية والصحيح القوة الطاردة المركزية

٢ — قال المؤلف في ص ٥٢ : الجرافيت وهو الفحم الحجري المنضوط . والصحيح أن الجرافيت صورة من صور الكربون توجد في الطبيعة في سيبيريا وسيلان والهند وانجلترا وكاليفورنيا ويمكن الحصول عليه صناعياً من تسخين خليط من الفحم الحجري أو فحم الكوك ومن الحديد بنسبة ٩٧ : ٣ في فرن كهربائي فينتج نوع نقي من الجرافيت الصناعي ويتبخر الحديد من أثر الارتفاع الشديد في درجة الحرارة .

قرية فيلســـوفة

(بقية المنشور على الصفحة الأولى)

الآلاف من الحقول ، والمئات من العجول ، والقناطير من الذهب ، والصناديق من الحلى ، والأصونة من الثياب ، فهل أنال من كل أولئك غير ملء الجوف وستر الجسم ؟ إن الحلاوة التي تجدها في قالب السكر الصغير ، هي بعينها الحلاوة التي تجدها في قمع السكر الكبير . وإن اللذة التي تذوقها في رطل اللحم الذي تشتريه ، هي نفسها اللذة التي يذوقها البدراوي في الخروف الذي يذبحه . وإن الدائرة الضيقة التي أضطرب فيها أنا وعيالي ، تجمع من متاع النفس والجسم ما تجمعه الدائرة الواسعة التي يركض فيها الباشا هو وأهله . فالمسألة إذن مسألة قلة وكثرة ، لا مسألة نعيم وبؤس . وما دام القليل يكفيك من الكثير ، والصغير يغنيك عن الكبير ، فإن فضول العيش شغل وهمّ وفتنة . اسمع أقصص عليك من بعض أمري ما يثبت فؤاد القانع ، ويغير اعتقاد الطامع ...

بقية الحديث في العدد القادم **احمد حسن الزيات**

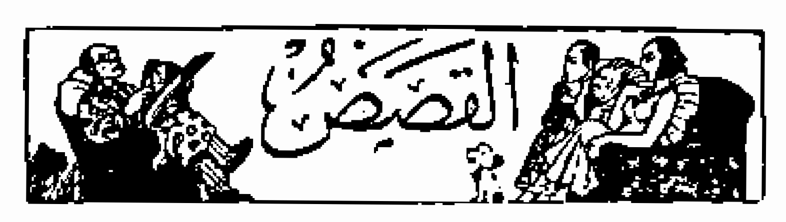
٣ — وجاء في ص ١٥ : إذا كانت ذرة ما كذرة الراديوم مثلاً تنفث ذريرة (ألفا) التي كتلتها (أي وزنها) ٤ ... الخ . فاعتبر الكتلة هي الوزن في حين أن الكتلة هي مقدار ما يحويه الجسم من المادة ، أما الوزن فهو مقدار جاذبية الأرض للجسم . وبينهما بون شاسع .

٤ — وفي ص ٦٧ كتب : كتلة × سرعة = زخماً

والصحيح أن الكتلة × السرعة = العزم

وفي نفس الصفحة ذكر أن : السرعة هي مدى انتقال المقدار في الثانية . والصحيح أن سرعة جسم متحرك هي معدل إزاحته في الثانية . على أن هذه الهنات لا تضع من القيمة العلمية والفنية للكتاب هو الأول في بابه صدر عن عالم مختص يقرأه القارئ المثقف واثقاً مما يقرأ مطمئناً إلى ما يفهم ، وإذا كان المأخذ الجوهري الذي أخذناه عليه هو ارتفاع مستواه عن ذهن القارئ العادي فإن معظم القراء أصبحوا اليوم من الثقافة بحيث لا يجدون صعوبة في إدراك الحقائق العلمية مصبوبة في أي قالب ؛ فهم يحتاجون إلى الاستزادة أكثر مما يحتاجون إلى الاستفادة . فللأستاذ المؤلف الشكر على ما بذل ويبذل من الجهد العظيم ونشر الثقافة وإفادة النشء وخدمة الأمة .

كامل محمود حبيب



الحـــلم

للكاتب الايرلندى لورد دنسانى

رأيت فى المنام أنى اقترفت جرماً عظيماً رفضوا من جرائه أن يدفنونى فى الأرض أو فى البحر، بل لم يكن لى مكان حتى فى الجحيم.

عرفت ذلك وأنا فى انتظار مصيرى عندما أقبل أصدقائى وقتلونى سراً فى احتفال دينى أضاءوا فيه الشموع، ثم حملونى بعيداً عن لندن، ورحلوا فى دجى الليل وساروا فى طرق موحشة بين صفين من الديار الصغيرة حتى وصلوا إلى النهر، وكان فى صراع مع مد البحر بين الضفاف الموحلة وفى ظلام الليل الدامس، فمرتهما دهشة فجائية من رؤيتهما أصدقائى وقد انعكست أنوار شموعهم على صفحة الماء. أدركت كل ذلك بينما كانوا يحملون جثتى الثقيلة، فقد كانت روحى لا تزال بين عظامى لأنه لم يكن لها مأوى فى السماء

ونزلوا بى درجاً أخضر موحلاً، فدنوت شيئاً فشيئاً من الطمى الرعب. وهناك حفروا حفرة قليلة الغور وأرقدونى فيها بين المهملات. ثم أتلفوا فجأة بشموعهم فى النهر، فانطفأت شعلتها وانسابت تندفع مع المد صغيرة شاحبة. وجعلت أراقب شروق الفجر وأشاهد أصدقائى يتسللون خفية الواحد تلو الآخر وقد توشحوا معاطفهم.

وأقبل الطمى وغطى كل شئ عدا وجهى. ورقدت هناك بين المفقودات والأحجار المتداعية والمهملات وكل ما هو فى طى النسيان، وقد تخلصت من إحساساتى، لأنى كنت ميتاً — قتيلا ولم يبق لروحى التعسة سوى الإدراك والتفكير. وبزغ الفجر فأبصرت الديار المهجورة تزخر بها حافة النهر، وقد أطلت علىّ نوافذها الميتة تحدق فى بأعين لا حياة فيها، نوافذ يجثم وراءها الشر وقد خلت من أرواح البشر. وازددت جهداً وأنا أتطلع إلى تلك المهملات فأشعر بالرغبة فى البكاء دون أن أبكى لأنى فى عداد الأموات. ثم عرفت ما لم أكن أعرفه من قبل — أن هذه الديار المهجورة كانت تود أن تبكى مثلى طوال الأعوام التى مرت عليها. ولكنها بكاء لا حياة فيها. وكم كنت أود أن تبكى هذه الأشياء التراكمة المهجورة فأشعر بالراحة لبكائها، ولكنها كانت أيضاً ميتة كغيفة البصر، وكان حالى مثل حالها، فقد حاولت البكاء فلم يتساقط الدمع من عينى.

وكنت أعرف أن النهر يستطيع لو أراد، أن يعنى بنا، ويحنو علينا، ويغنى لنا. ولكنه كان يندفع جاريا دون أن يفكر فى شئ سوى ما يحمله معه من سفن فاخرة.

وأخيراً فعل المد ما لم يفعله النهر، وأقبل وغطانى، فانتشت روحى بعد أن رقدت تحت الماء الخضر، وخالجها اعتقاد أنها مدفونة فى البحر. وما انحسر الماء حتى رجعت إلى الطمى بين المهملات وعدت إلى مشاهدة الديار المهجورة وعادت إلى معرفتى بأننا جميعاً أموات. ثم بدا لى نفق حالك وممرات سرية ضيقة تخترق ذلك الحائط الكئيب الواقع خلفى وقد غطته الأعشاب الخضر، فأقبلت منها الجرذان تتسلل لتقرضنى، وابتهجت روحى عندئذ، واعتقدت أنها ستغدو حرة، فتخترق نطاق تلك العظام الملعونة التى رفض دفنها. ولكن سرعان ما ولت الجرذان هاربة مبتعدة منى، ثم جعلت تتشاور فيما بينها، ثم لم تعد إلى بعد ذلك. وهنا عرفت أنى ملعون حتى بين الجرذان، وحاولت عندئذ البكاء دون جدوى. ثم أقبل المد وعاد يتأرجح حتى غطى الطمى المهول، وأخفى الديار المهجورة، وواسى الأشياء المهملة، وأراح روحى فترة وهى مدفونة فى مياهه. وأخيراً هجرنى وابتعد.

وهكذا أصبح المد يقبل ثم يعود سنين عديدة، إلى أن وجدنى بعضهم، فانتزعونى من الطمى ودفنونى دفناً لائقاً. وما أن رقدت فى أول رمس حتى عاد أصدقائى وأخرجونى منه وأعادونى إلى حفرتى فى الطمى

وكم من المرات تجد عظامى مدفنا لها على كر السنين، وفى كل مرة يكمن أحد هؤلاء الرجال الرعيبين، حتى إذا ما أتى المساء يقبل فيحفر ثم يخرجنى من رمسى ويحملنى ويعود بى إلى حفرتى الأولى.

وفى ذات يوم مات رجل من هؤلاء الذين فعلوا بى هذا الفعل المروع. وسمعت روحه تتصاعد فوق النهر عند الغروب. وحينئذ أشرق فى روحى الأمل.

ومرت الأسابيع عندما وجدونى مرة أخرى، فأخرجونى من ذلك المكان المقلقل ودفنونى فى أعماق الأرض المقدسة. وعاود روحى الأمل فى أن تظل هناك أبدا. ولكن سرعان

ما أقبل رجال متشحون بالمعاطف ويحملون الشموع ، وأعادونى إلى الطمى . لقد أصبح ذلك الأمر لهم تراثاً وتقليداً . وسخرت منى المهملات فى قلوبها الصم عند عودتى ، فقد كانت تثار منى لتركى الطمى . وكنت لا أزال أذكر أنى لا أستطيع البكاء .

ومرت السنون تجرى كما يجرى النهر صوب البحر حيث الزوارق ترحل وتعود والسفن المائلة المائعة يتقاذفها الموج ، وما زلت راقدا بلا أمل ، لأنى لا أجرؤ أو آمل دون سبب ، نتيجة حسد المهملات المروع وغضبها الشديد .

وفى ذات يوم هبت عاصفة هوجاء ، أقبلت جنوبياً من بعيد ، قادمة من البحر ، ثم عرجت على النهر تصاحبها الريح الشرقية العاتية ، وتغلبت على الجزر وهى تسير فى خطى واسعة فوق الطمى النازل . وابتهجت المهملات واختلطت بغيرها من الأشياء المبتهجة ، وانساقت السفن الفاخرة وهى تطفو من أعماق الماء ، وأخذت العاصفة عظامى من مرقدى الموحش ، فشعرت بأمل يترعرع فى نفسى فى أنه لن يمكر على الجزر صفو مرتقى بعد ذلك . وعندما انحسر المد كانت العاصفة قد ولت تنتق أثر النهر صوب الجنوب ، ثم عادت إلى مقرها بعد أن بعثرت عظامى بين جزر كثيرة على طول السواحل . وكادت روحى أن تتحرر من أغلالها عندما ارتفع المد الدافق تحت ضوء القمر وعبث بما تركه الجزر ، ولم عظامى من هذه الجزائر وعاد بها من هذه السواحل ، ثم ذهب يتنق صوب الشمال حتى وصل إلى مصب التيمس ، وهناك تحول غرباً والتقى بالنهر وصعد معه حتى اقبل إلى الحفرة فألقى فيها عظامى . ثم انحسر المد فشاهدت أعين الديار الميتة ، وشعرت بغيرة المهملات التى لم تحملها العاصفة .

ومرت قرون على ذلك التنازع بين المد والجزر ، ولا زلت تحت قبضة الطمى بين هذه المهملات الموحشة ، وأنا عاجز عن التحرر من أغلاله . واشتقت إلى حنان الأرض الدافئة ، وأحضان البحر الخضم .

وكان الناس بعض الأحيان يعثرون على عظامى فيدفنونها . ولما كانت التقاليد لا تزال على حالها من الوجود فقد أصبح خلفاء أصدقائى يحومون دائماً بإعادتى إلى الطمى . وأخيراً انقطع إبحار السفن ، وخبا ضوء النهار ، ولم يعد يطفو على الماء إلا جذوع الأشجار القديمة وقد اقتلعتها الريح من جذورها . وشعرت مع الزمن بنمو الأعشاب بجوارى وأخذت الطحالب تنبت فوق الديار الميتة . جعلت أراقب هذه التطورات سنين عديدة إلى أن تأكدت تماماً أن لندن فى طريقها إلى الفناء . وحينئذ أشرق الأمل مرة أخرى ، مع أنى كنت أعرف أن كل من يجرأ على أن يأمل وسط الطمى يثير عليه غضب المهملات الملقاة على ضفتى النهر . وشيئاً فشيئاً تداعت الديار الخربة ، ووجدت لها مدفناً لا تأ بين الأعشاب والطحالب . ثم تفتحت الأزهار البرية واستطالت النباتات المتسلقة ، وأطلت فوق الأكمات . وحينئذ عرفت أن الطبيعة قد انتصرت وأن لندن قد أصبحت أطلالا . وأقبل آخر إنسان إلى الحائط بجوار النهر فى معطف رث من تلك المعاطف التى كان يرتديها أصدقائى ، وحدق ليرى إذا كنت لا أزال هناك ثم رحل ولم أشاهده بعد ذلك . لقد رحل راجيا كما رحلت لندن .

وبعد أيام ، أقبلت الطيور الشادية ، ونظر بعضها إلى بعض عندما شاهدتنى ، ثم طارت بعيداً عنى وجعلت تتشاور فيما بينها ، فقال أحدها « أنه لم يأثم فى حقنا ، وإنما أثم ضد الإنسانية » فقالت « إذن دعونا نحنو عليه » .

ثم حطت بالقرب منى وأخذت تغرد . واستمعت إلى شدو الثات منها عند الشروق ، على ضفاف النهر ، وفى عنان السماء وخلال الغابات ، وتعالى غناؤها عندما سطع الضوء ، وازدحمت فوق راسى حتى أصبحت آلافا مؤلفة ، ثم ملايين ، فلم أر أخيراً إلا أجنحة تصطفق تحت قبة السماء وارتفعت روحى من عظامى الراقدة فى الحفرة الموحلة ، وأنا أستمع إلى هذه الأغاريد الشجية ، وأخذت تتعالى فى عنان السماء مع الألحان . وبدا لى كأنما قد شق طريق بين الطيور ، ارتفعت فيه روحى وظلت ترتفع حتى دلفت إلى الجنة من أحد أبوابها الصغيرة وقد فتح على مصراعيه فى نهاية السماء . وعندئذ عرفت أنى قد انتشلت من ذلك الوحل ولن أعود إليه مطلقاً ، فقد وجدت فجأة أنى أستطيع البكاء .

وفى نفس اللحظة فتحت عينى فوجدتنى فى فراشى بلندن ، وسمعت الطيور تغرد فوق شجرة فى الخارج تحت أشعة الصباح الخلابة . وكانت عينى مندأة بالدموع ، فإن إرادة الإنسان أضعف ما تكون أثناء النوم . وهببت من فراشى وفتحت النافذة ، وبسطت ذراعى فوق الحديقة الصغيرة ، وباركت الطيور التى أنقذنى شدوها من حلمى الطويل المخيف المزعج .

محمد فتحى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة